التحلي بالآداب الإسلامية
في الطريقة الكسنزانية

الكتاب : التحلي بالآداب الإسلامية في الطريقة الكسنزانية
المؤلـف : الأستاذ الدكتور نهرو الشيخ محمد الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني
الطبعة : الأولى
التاريخ : ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧ م

الناشر : دار القادري للنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - ص . ب : ١٠٣٤٤
هاتف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٤٥٣٧٧٥
فاكس : ٠٠٩٦٣ ١١ ٥٢٣٣٧٦٩

مكتب المتابعة والإرشاد
في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
Phone : ٠٠٩٦٤٧٧٠٣٥٣٥٤٤٧
موقع الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
www.kasnazan.com
E-mail : kasnazan_web @yahoo.com
موقع التصوف الإسلامي
www.islamic-sufism.com
E-mail : webmaster@islamic-sufism.com

التحلي بالآداب الإسلامية

في الطريقة الكسنزانية

الأستاذ الدكتور الشيخ

نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني

مؤسس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم
صل على سيدنا
محمد
الوصف والوحي والرسالة
والحكمة وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] ، وصل اللهم على سيدنا محمد السابقِ للخلقِ نورهُ ، الرحمةِ للعالمينَ ظهورهُ ، عددَ مَنْ مضى من خلقكَ ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي ، صلاةً تستغرق العدَّ وتحيطُ بالحدِّ ، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ، ولا أمد لها ولا انقضاء ، صلاة دائمة بدوامكَ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مثل ذلك .

وبعد .. فإن من المعلوم في الدين بالضرورة أن الله سبحانه وتعالى ﴿ .. أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [2] ، فظهر سيدنا محمد ﷺ في الوجود هادياً وبشيراً ، وسراجاً منيراً ، أضاء بنوره قلوب المؤمنين فربى أنفسهم وزكاها ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [3] ، ونوَّر عقول الأميين فعلّمها وهداها ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [4] ،

---

١ – القلم : ٤ .

٢ – التوبة : ٣٣ .

٣ – آل عمران : ١٦٤ .

٤ – الجمعة : ٢ .

وبذلك امتاز رسول الله ﷺ في أمته عن سائر من سبقه من الأنبياء والمرسلين بكونه لم يكن في بعثته مبلغاً بالرسالة والتشريع فحسب وإنما زاد على ذلك بكونه سار فيهم بمنهجين معرفيين لا غنى للإنسان بأحدهما عن الآخر وهما : التربية والتعليم .

تربية النفوس وتهذيبها ، وتزكيتها وتطهيرها ، بما يصفي خواطرها وينقي هواجسها ويكمّلها بالآداب ومكارم الأخلاق ، ويجعلها مؤهلة للإلهامات الربانية والاستفاضات الروحية ، فيصلح بذلك عالم الإنسان الصغير وتتقوم صفاته مع ذاته بأحسن تقويم ، ومن جهة ثانية وجه رسول الله ﷺ العقول نحو الاستنارة والتفكر في خلق السماوات والأرض ، وحث على القراءة وطلب العلم وأمر بالكسب والعمل ، وبذلك يصلح عالم الإنسان الكبير ، وقد أشار الحق تعالى إلى كلا المنهجين في قوله سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [1] .

ولما كانت الطريقة هي التطبيق الكامل للشريعة المحمدية بما تتضمنه تلك الشريعة من أبعاد ظاهرية وروحية ، وبما تنطوي عليه من أبعاد معرفية ، قلبية كانت أو عقلية أو غير ذلك ، فإن تربية المريدين على النهج الإسلامي الكامل يتطلب توجيه عقولهم وقلوبهم إلى حقيقة التلازم بين هذين الجانبين في الشريعة ، كما يتطلب كذلك إرشادهم إلى السبيل الذي يتمكنون بواسطته من أداء كل ذلك في توازن وانسجام يحفظ للضمير الإنساني حياته وللعقل امتيازاته ،

---

١ - فصلت : ٥٣ .

وفي رأينا أنَّ أهم ركن في هذا السبيل هو معرفة جملة من الآداب الإسلامية التي تربى عليها الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم بين يدي رسول الله ﷺ ، وكذلك بعض الآداب التي وجه إليها مشايخ الطريقة قدست أسرارهم وما رأيناه مناسباً لمريدينا في هذا العصر والتي تمثل فهماً دقيقاً لأصل التخلق بالخُلُقِ الحَسَنِ في الشريعة الإسلامية الغراء .

إننا نرى أن التزام المريد بهذه الآداب يربي فيه ميزتي الأصالة الشرعية والمعاصرة الواقعية ، الأمر الذي يكسب روحه وعقله التنوير فيجعله عضواً صالحاً في المجتمع ، وبذلك يتحقق التأسي بحضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ القائل : ﴿ أدبَني ربي فأحسَن تأديبيَ ﴾ [1] .

من هنا سعَيْنا سعْيَنا هذا في وضع هذا المختصر لينهل منه القاصد والعابد ، فيتخلق بمكارم الأخلاق التي بعث رسولنا الأعظم ﷺ متمماً لها ، وليتحقق بثمارها الروحية ، وآثارها النورانية ، التي تجعل منه عبداً ربانياً في أقواله وأفعاله وأحواله ، قال تعالى : ﴿ ولَـكن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [2] وما ذلك على الله بعزيز .

وَصَلَّى ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلْوَصْفِ وَٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ وَٱلْحِكْمَةِ
وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

---

١ – فيض القدير – ج ١ ص ٢٢٥ .

٢ – آل عمران : ٧٩ .

الفصل الأول

المدخل
في آداب الطريقة

التعريف بالأدب

في اللغة

الأدب : هو حسن السلوك والأخلاق [1] .

وقيل : الأَدَبُ مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قامت به عمَّا يَشِينُه [2] .

وسُمِّيَ أَدَباً لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلى المَحامِدِ ويَنْهاهم عن المقَابِح [3] .

في القرآن الكريم والسنة المطهرة

وبهذا المعنى جاء معنى الأدب في القرآن الكريم ، فقد قال تعالى مادحاً الحبيب المصطفى ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [4] ، والمراد بالخلق العظيم كما جاء في تفسير الطبري : « وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذي أدّبه الله به »[5] .

وذكر ان سعيد بن هشام [6] سأل عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟

قال : بلى .

---

١ – يوسف خياط – لسان العرب المحيط ابن منظور – مادة (أدب) – ص٣٣ .

٢ – محمد مرتضى الزبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس – ج ١ ص ٢٧٦ .

٣ – يوسف خياط – لسان العرب المحيط ابن منظور – مادة (أدب) – ص٣٣ .

٤ – القلم : ٤ .

٥ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) – ج ٢٣ ص ٥٢٨ .

٦ – المصدر نفسه – ج ٢٩ ص ١٩ .

قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن [1] .

ذلك الخلق الرباني الذي لمسه الصحابة الكرام ﭫ سنين طويلة من تعايشهم مع حضرة الرسول الأعظم ﷺ ، ومنه ما ثبت في الصحيحين عن أنس أنه قال : خدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشر سنين فما قال لي(أفٍ) قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ولا مَسستُ خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ [2] .

هذه الأخلاق التي تجلت وتجسدت في أقوال سيدنا محمد ﷺ وأفعاله وأحواله كانت ثماراً يانعة للتربية الربانية والتأديب الإلهي الذي تولاه الله تعالى به ، والذي اخبرنا عنه ﷺ فقال : ﴿ **إنَّ اللهَ أَدَّبني فأَحسَنَ تأديبي ثمَّ أَمرني بمكارمِ الأخلاق** ﴾ [3] ، فقام حضرته ﷺ بتأديب صحابته الكرام ﭫ ، حتى قال :﴿ **إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ**﴾ [4] .

ثم دأب الصحابة الكرام على تأديب أبنائهم وأحسنوا تربيتهم ، لقول رسول الله ﷺ : ﴿ **مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ** ﴾ [5] .

---

١ – صحيح مسلم – ج ١ ص ٥١٣ – برقم ٧٤٦ .

٢ – تفسير ابن كثير – ج ٨ ص ١٨٩، صحيح البخاري – برقم ٦٠٣٨ ، وصحيح مسلم برقم ٢٣٠٩ .

٣ – فيض القدير – ج ١ ص ٢٢٥ .

٤ – البيهقي – الآداب – ج ١ ص ١٩٢ .

٥ – سنن الترمذي – ج ٧ ص ٢٠٦ – برقم رقم ١٨٧٥ .

في الإصطلاح الصوفي

الأدب عند الصوفية هو « حلل مُجَددة »[1] كما يقول حضرة الإمام علي إبن أبي طالب ﷺ أي الحلل الجميلة التي يتزيا بها الإنسان وهي هنا حلل تلبسها النفس الإنسانية لا جسمه . بينما ذهب الشيخ السري السقطي ﷺ إلى النظر إلى الأدب من منظار العقل فقال : « الأدب هو ترجمان العقل »[2]، والأدب هو الأمر المستحسن في كل شيء والوقوف مع ذلك المستحسن كما يقول الشيخ ابن عطاء الأدمي ، ولقد سئل عن توضيح ذلك فقال : « إنَّ تعامل الله تعالى بالأدب سراً وعلناً ، فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإن كنت أعجمياً »[3] بينما أشار السراج الطوسي إلى تعلق الآداب بسرائر العبد والتي ينبغي مراعاتها من جميع الخطرات .

وأما الإمام القشيري فقد عمم تأثير الأدب ليشمل ظاهر العبد وباطنه فقال : هو « اجتماع خصال الخير »[4] . وقد سماه بعضهم : وقار ينتج في النفس باستعمال مقدمات من الرياضات العلمية [5] ، وآخر سماه : ذوق يفهم به صاحبه عن الله تعالى مراده منه في كل حال ومقال ومقام ، فيكون أبداً

١ – الشيخ محمد عبده – نهج البلاغة – ج ٤ ص ٣ .
٢ – الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي – طبقات الصوفية – ص ٥٢ .
٣– الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢٠ .
٤ – المصدر نفسه – ص ٢٢٠ .
٥ – المصدر نفسه – ص ٩ .

بالموافقة على الكشف [1] ، وعرفه آخر بأنه الورع [2] ، بينما ذهب الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ إلى القول بأن : « الأدب : عبارة عن جماع الخير »[3] .

وأما عندنا فالآداب هي : أحوال ربانية ، بل هي من أول الأحوال النورانية التي يكتسبها المريد من روحانية شيخه وتسمى : مكارم الأخلاق ، حيث يجد المريد في داخله قوة روحية تلقائية تحمله على إعطاء كل زمان ومكان حقه ومستحقه من الخصال الحميدة التي تليق به من دون اختيار أو كلفة ، ومع استمرار السلوك في نهج الطريقة ودوام تأثر المريد بهذه الأحوال التي ترشح من روحانية شيخه ، تتغير صفاته وتترقى من المرتبة الدنيا إلى مرتبة أحسن تقويم والمسماة بمرتبة (الربانية)[4] أو (الخلق العظيم)[5] .

وبهذا ومن خلال المصاحبة الظاهرية والروحية لشيخ الطريقة يتحقق المريد بمرتبة المتابعة الحية للحضرة المحمدية المطهرة إذ « كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً وخُلُقاً »[6] .

ونخلص من ذلك إلى القول : بأن الآداب عند الصوفية تعني الاستقامة على الصراط المستقيم الذي نصفه بأنه أرفع من الشعرة وأحدّ من السيف .

---

١ – الشيخ محمد بن وفا الشاذلي – مخطوطة دار المخطوطات العراقية – رقم (١١٣٥٣) – ص ٩ .

٢ – د . عبد المنعم الحفني – معجم مصطلحات الصوفية – ص ١٣ .

٣ – الشيخ ابن عربي – الفتوحات المكية – ج ٢ ص ٢٣٣ .

٤ – إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ كونوا رَبّانيّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسونَ ﴾ آل عمران : ٧٩ .

٥ – إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ ﴾ القلم : ٤ .

٦ – الشيخ أحمد الرفاعي – البرهان المؤيد (ضمن المجموعة الصغرى للفوائد الكبرى) – ص ٢١ .

الأدب وأهميته في الشريعة الإسلامية

يكفينا الإشارة إلى أهمية الأدب في الشريعة الإسلامية أن الله تعالى مدح أقواماً تأدبوا في حضرة حبيبه ﷺ حين قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ثم قال في ذم آخرين تجاوزوا حدود الأدب فقال عز اسمه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [2] .

ومن تلك الوصايا التي ذكرها الله تعالى على لسان لقمان الحكيم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ • وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [3] .

حتى إن الأدب كما يقول حضرة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ من موجبات النجاة من النار ، فقد قال في قوله تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [4] ، علّموهم ، وأدّبوهم [5] .

ولهذا فإننا نعد باب الأدب من المقاصد الكلية التي جاءت بها الشريعة المحمدية المطهرة ، والتي تهدف إلى إحياء الجانب الخلقي في الإنسان ،

---

١ – الحجرات : ٣ .

٢ – الحجرات : ٤ .

٣ – لقمان : ١٨ –١٩ .

٤ – التحريم : ٦ .

٥ – تفسير الطبري – ج ٢٨ ص ١٦٦ .

والارتقاء به إلى مرتبة (أحسن تقويم) التي خلقه الله تعالى فيها ولها ، كانت بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين متممة لكل ما سبق وفاتحة لكل ما استقبل ومهيمنة على ذلك كله ، ولهذا قال حضرته ﷺ مترجماً عن ذلك في عبارةٍ جامعةٍ مانعة : ﴿ إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارِمَ الْأَخْلَاقِ ﴾[1] ، أي أن مقصداً كليا من مقاصد البعثة المحمدية هو إتمام مكارم الأخلاق ، وهي الآداب المتعلقة بظاهر العبد وباطنه في العلم والعمل والعبادات ، بل في جميع الحركات والسكنات ، بقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[2].

إن سيدنا محمداً ﷺ لم يبعث لهداية الناس من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم فحسب ، بل بعث أيضاً ليعيد للإنسانية رونقها الحقيقي ، ومعانيها السامية ، تلك المعاني التي لا تظهر إلا من خلال المعاملة مع الخلق والخالق ، فكان حضرته المجسد الحي لكل خلق حسن ، ولكل مكرمةٍ أنزلها الحق تعالى في الحياة الإنسانية .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

قال ﷺ : ﴿ حُسْنُ الْخُلُقِ ﴾ .

فأتاه من قبل يمينه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

قال ﷺ : ﴿ حُسْنُ الْخُلُقِ ﴾ .

ثم أتاه من قبل شماله فقال : ما الدين ؟ .

---

١ - سنن البيهقي الكبرى - ج ١٠ ص ١٩١ .

٢ - الزلزلة : ٧ -٨ .

فقال ﷺ : ﴿ حُسْنُ الْخلُقِ ﴾ .

ثم أتاه من ورائه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟

فالتفت إليه ﷺ وقال : ﴿ أما تَفْقَه ؟ هوَ أنْ لا تغضب ﴾ [1] .

وفي حديث قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟

قال ﷺ : ﴿ سوءُ الْخلُقِ ﴾ [2] .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أوصني .

فقال ﷺ : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ﴾ .

قال : زدني .

قال ﷺ : ﴿ أَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ﴾ .

قال : زدني .

قال : ﴿ خَالِقِ النَّاسَ بِخلُقٍ حَسَنٍ ﴾ [3] .

وسئل ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ .

فقال ﷺ : ﴿ خُلُقٌ حَسَنٌ ﴾ [4] .

وقيل له ﷺ : فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها.

قال ﷺ : ﴿ لَا خَيْرَ فِيهَا هي في النار ﴾ [5] .

---

١ – أخرجه محمد بن نصر المرزوي في كتاب تعظيم قدر الصلاة – من رواية ابي العلاء بن الشخير .

٢ – الحديث أخرجه أحمد من حديث عائشة (الشؤم سوء الخلق) ولأبي داود من حديث رافع .

٣ – أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح .

٤ – مجمع الزوائد – ج ١ ص ٥٤ .

٥ – المستدرك على الصحيحين – ج ٤ ص ١٨٤ .

وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ أَوَّلَ مـا يوضـعُ فـي الميزانِ حسنُ الخلقِ والسخاءُ ، ولما خلقَ اللهُ الإيمانَ قال اللهمَّ قـوِّني فقـوَّاه بحسنِ الخلقِ والسخاء ﴾ [1] .

وقال ﷺ : ﴿ إنَّ اللهَ استخلصَ هذا الـدين لنفسـهِ ولا يَصـلِح لـدينكم إلا السخاء وحسن الخلقِ ألا فزينوا دينكم بهما ﴾ [2] .

ومن أعظم ما قيل في فضيلة الأخلاق الحسنة قوله ﷺ : ﴿ حسنُ الخلـقِ خُلُقُ اللهُ الأعظم ﴾ [3] .

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : اطلب الأدب فإنه زيادة في العقـل ، ودليـل علـى المروءة ومؤنس في الوحدة ، وصاحب في الغربة ، ومال عند الْقِلَّة [4].

وقال أنس بن مالك ﷺ : « الأدب في العمل علامة قبول العمل »[5] .

وقال الشيخ الحسن البصري ﷺ : « أنفع الآداب في العاجل والآجل : التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله ﷻ عليك » [6] .

وقال التابعي سعيد بن المسيب ﷺ : « من لم يعرف ما لله تعالى عليه فـي نفسه ، ولم يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب في عزلة »[7].

---

١ – لأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء " ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق " .

٢ – أخرجه الدارقطني في كتاب المستجاد ، والخرائطي في مكارم الأخلاق .

٣ – أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمار بن ياسر .

٤ – غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – ج ١ ص ٤٥

٥ – الشيخ عمر السهروردي – عوارف المعارف (ملحق بإحياء علوم الدين للغزالي) –ج٥ ص١٥١ .

٦ – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢١ .

٧ – الشيخ السراج الطوسي – اللُّمَع في التصوف – ص ١٤٢ .

وقال سفيان الثوري : حسن الأدب يطفئ غضب الرب ﷻ [1] .

وقد عُد الخلق الحسن ميزاناً للتفاضل بين المؤمنين ، فقد سئل حضرته ﷺ عن أفضل المؤمنين إيماناً فقال : ﴿ أَحسَنَهُم خلقاً ﴾ [2] .

وقال ﷺ : ﴿ يا أم حبيبة ذَهَبَ حسنُ الخلقِ بخيري الدنيا والآخرة ﴾ [3].

وبالمقابل فان سوء الخلق محبط للأعمال فقد قال ﷺ : ﴿ سوءُ الخلقِ يفسدُ العملَ كما يُفْسِدِ الْخَلُّ الْعَسَلَ ﴾ [4] .

بينما تُطهّر الأخلاق الحسنة النفس ، وتزكي الأعمال ، وتمحو الذنوب والخطايا ، وقد دلنا على ذلك حديث أنس ﷺ حين قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال : ﴿ إنّ حسنَ الخلقِ ليذيبُ الخطيئةِ كما تذيبُ الشمسُ الجليد ﴾ [5] .

وقال ﷺ : ﴿ سوءُ الخُلقِ ذنبٌ لا يغفر وسوءُ الظنِ خطيئةٌ تفوح ﴾ [6].

ولعل مطمح أنظار المحبين ومنتهى آمال العاشقين هو التقرب من

١ – أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء – ج ٣ ص ١٣١ .

٢ – أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ " أكمل المؤمنين " والطبراني من حديث أبي أمامة " أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا " .

٣ – طبقات المحدثين بأصبهان – ج ٤ ص ٢٩١ – حديث ٦٧٥ .

٤ – أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة .

٥ – شعب الإيمان – ج ٦ ص ٢٤٨ – رقم ٨٠٣٦ .

٦ – الخرائطي – مساوئ الأخلاق – ج ١ ص ٨ – رقم ٦ .

الحبيب المصطفى ﷺ في الحياة الأبدية ، وقد أبان ﷺ عن شيء من مفاتيح القرب منه والكون معه في الآخرة حين قال ﷺ : ﴿ إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ﴾ [1] .

والحديث في فضائل مكارم الأخلاق والحث على الآداب الإسلامية يطول بذكره المقام ، فنكتفي بهذا القدر ، ففيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [2] .

من هنا اهتم أهل الطريقة بالتأدب أيما اهتمام ، وعدّوه شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ، ورياضة المتعبدين ، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة ، والمهلكات الدامغة ، والمخازي الفاضحة ، والرذائل الواضحة ، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين ، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين ، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، بينما الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن .

إن اهتمام أهل الطريقة بالأخلاق والآداب متأتٍّ من إتباعهم الحي لحضرة الرسول الأعظم ﷺ الذي يقول : ﴿ أثقلُ ما يوضع في الميزانِ يوم القيامة تقوى الله وحُسن الخُلقِ ﴾ [3] ، وهل يريد العبد أمرا كما يريد أن يكون ميزانه ثقيلاً بالإيمان والأعمال الصالحة ؟

فالتقوى مفتاح الإيمان كما أن الآداب زينة الأعمال وعنوان صلاحها .

---

١ – سنن الترمذي – ج ٤ ص ٣٧٠ – رقم ٢٠١٨ .

٢ – انظر : إحياء علوم الدين – ج ٣ ص ٥٠ –٥١ .

٣ – أخرجه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء .

الأدب وأهميته عند أهل الطريقة

عدَّ مشايخ الطريقة (الأدب) شرطاً أساسياً في كل ركن من أركان الطريق إلى الله ، فالأدب عندهم لا يدخل على شيءٍ إلا زانه ولا يفارق أمراً إلا شانه ، إذ سوء الأدب يفسد السلوك كله ، فهو يفسد العمل ، ويفسد القلب ، ويفسد آثار الذكر وآثار الصمت وآثار الخلوة والعزلة ، ويستحيل مع سوء الأدب الأخذ من الشيوخ ، ومن ثم تأصلت القاعدة الصوفية : (لا سير بلا أدب مع الحق والخلق) وأهل الطريقة لم يعدّوا هذا الباب شرطا أساسيا في الطريق إلى الله تعالى إلا لكونه انعكاساً عملياً وسلوكياً لصحيح العمل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة من الناحيتين الظاهرية والروحية ، ولهذا قالوا :

- « التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف »[1] .
- من تحبسه الأنساب فإنما تطلقه الآداب ، أي : من تحبسه الأنساب عن الارتقاء في المراتب تطلقه الآداب المرضية إلى أعلى المراتب .
- العلم بالأدب بلا عمل وسيلة بلا غاية.
- بالأدب تطوى المسافة ، وبه يذهب عنك ما في الطريق من مخافة .
- كل عبادة تخلو من الأدب فهي قليلة وإن كثرت .
- إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء .
- ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب .

---

١ – انظر : إحياء علوم الدين – ج ٣ ص ٥٣ .

الآداب وشموليتها

يقول حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : « كل من ليس له أدب ممقوت الخلق والخالق ، كل وقت ليس فيه أدب فهو مقت ، لابد من حسن الأدب مع الله عز وجل »[1] ، فالأدب عنوان المحبة والقرب كما أن ترك الأدب علامة المقت والبعد من الخلق والخالق ، ولما كان العبد لا يخلو أن يكون إما مع الخلق أو الخالق ، فإن الأدب لابد أن يكون ملازماً له في كل أوقاته وجميع حالاته ، ولهذا كان للصوفية كما يقول الشيخ السرّاج الطوسي : « آداب في سفرهم وحضرهم ، وآداب في أوقاتهم وأخلاقهم ، وآداب في سكونهم وحركاتهم . وهم مختصون بها من غيرهم ومعروفون بها عند أشكالهم وعند أبناء جنسهم ، يُعرف بذلك تفاضل بعضهم على بعض . وبهذه الآداب تَمَيُّزٌ بين الصادقين والكاذبين والمدعين والمحققين »[2] أي أن « التصوف كله آداب ، ولكل وقتٍ أدب ، ولكل مقامٍ أدب ، فمن لزم آداب الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول »[3] ، ولهذا وصف الشيخ ابن عربي ﷺ الأدب بأنه « جماع الخير »[4] ، لأنه يجمع للعبد خيري الدين والدنيا .

إن الفهم الصوفي لشمولية الأدب جعلهم يصنفون مراتبه بحسب طبقات الناس ومنهم السراج الطوسي الذي قال فيه : « الناس في الأدب متفاوتون

---

١ – السيد الشيخ محمد الكسنـــزان – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر– ص ٩ .

٢ – الشيخ السراج الطوسي – اللُّمَع في التصوف – ص ١٤٤ .

٣ – الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي – طبقات الصوفية – ص ١١٩ .

٤ – الشيخ ابن عربي – الفتوحات المكية – ج ٢ ص ٢٣٣ .

وهم على ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين .

فأما أهل الدنيا : فإن أكثر آدابهم في الفصاحة ، والبلاغة ، وحفظ العلوم وأشعار العرب ، ومعرفة الصنايع ، وأما أهل الدين : فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات، فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين : فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعقود بعد العهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والطوارق ، واستواء السر مع الإعلان ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والقربة والدنو والوصلة » [١] .

وما زال الكاملون قدس الله سرهم يوصون مريديهم به قائلين : « الله الله بالأدب مع الله ، فإن خلق الله حجب وأبواب ، فإن أدركتم سر الأدب مع خلق الله فتحت لكم أبواب القبول عند الله ، وإن جهلتم أمر الأدب مع خلق الله حجبتم بالخلق عن الله »[٢] ، وما زالوا يحملونهم على الأدب بقالهم وحالهم لأنه باب الأرب [٣] كما يقول الرفاعي الكبير رضي الله عنه ، وكيف لا يفعلون ذلك والآداب كلها منحصرة في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وحالاً وخُلُقاً ، فالصوفي آدابه تدل على مقامه [٤] .

---

١ – الشيخ السراج الطوسي – اللُّمَع في التصوف – ص ١٤٢ – ١٤٣ .

٢ – الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي – طبقات الصوفية – ص ١٠٥

٣ – الشيخ أحمد الرفاعي – البرهان المؤيد – ص ٢٨ .

٤ – المصدر نفسه – ص ٢١ .

الآداب وأثرها في العبادة

إن كل عمل يخلو من أدب فهو مردود على صاحبه ، والله تعالى لا يقبل من العبادة الا ما صفى منها من الشوائب وفاحت منه رائحة الأدب والصلاح .

قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [1]

وروى عن جابر أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إذا قــامَ الرجــلُ فــي الصلاةِ أقبلَ اللهُ عليه بوجههِ فإذا التَفَتَ قال : يا ابن آدم إلى مَنْ تَلتَفت ؟ إلى مَنْ هوَ خيرٌ لكَ مني ؟ أَقبلْ إليَّ . فإذا التفتَ الثانية قالَ مثلُ ذلك ، فإذا التفــتَ الثالثةَ صرفَ اللهُ تَبارك وتعالى وَجهَهُ عنه ﴾ [2] .

فاستعمال الأدب في العبادة يورث العبد قرباً من الله تعالى ، حتى يصل في الإسلام إلى درجة قال فيهــا الشــيخ الســري الســقطي ﷺ : صــليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب ، فنوديت : يا سري هكــذا تجــالس الملوك ؟

فضممت رجلي ثم قلت : وعزتك لا مددت رجلي أبداً .

قال الشيخ الجنيد ﷺ : فبقي ستين سنة ما مدَّ رجله ليلاً ولا نهاراً [3] .

ويقول حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : « ما دام العبد يحفــظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه ، فإذا ترك الأدب طمع الشيطان في الســنن ،

---

١ – فاطر: ١٠ .

٢ – مجمع الزوائد – ج ٢ ص ٨٠ .

٣ – السهروردي – عوارف المعارف – ص ١٥١ .

ثم في الفرائض ، ثم في اليقين »[1] .

ومعنى هذا : إن الأدب حصن حصين يغلف العبادة فيحفظها من الشيطان ، ويردعه عنها ، فإذا ما قصر العبد في آداب العبادة فقد فتح على نفسه منافذ يستطيع الشيطان من خلال الوساوس أن يصل إلى النفس ليشغلها ويلهيها عن عبادة ربها ، فتفقد العبادة صفة الإخلاص ، وإذا فقدت العبادة نور الإخلاص ، صارت عبارة عن حركات ورسوم بلا معانٍ أو آثار روحية ، وبالتالي يفقد العابد حالات الخشوع في العبادة ، وشيئاً فشيئاً يصيبه البرود والملل ، فتضعف همته للعبادة ، ويركن إلى التسويف ..

لذا وفي هذا الباب يوصي مشايخ الطريقة بأخذ الأدب بجدٍ واجتهادٍ وعزيمةٍ وعدم الركون إلى الرخصة فيه بأي شكلٍ من الأشكال ، لأن كل خطوة إلى الله تعالى تتبعها خطوات وكل تنازل يلحقه تنازلات .

« إنَّ العبادة بصورتها الظاهرة دون توافر هذه الأمور الباطنة – القلبية – لا قيمة لها ، ومن ثم فإذا كانت الأعمال الظاهرة مطلوبة بوصفها داخلة في الدين ، من حيث هي تعبير عن طاعة الله ، فإنها لا قيمة لها بغير أعمال القلوب ، لأنها من أصول الإيمان وقواعده »[2] .

« ولئن كانت العبادة هي الخضوع والطاعة لله وحده ظاهراً وباطناً ، فإن الاقتصار على هذا الجانب بالذات لا يكفي وحده أيضاً ، وإنما يلزم أن ينعكس

---

١ – إبراهيم حلمي القادري – مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة – ص١١ .

٢ – ابن تيمية – التحفة العراقية في الأعمال القلبية – ص ٣٧ .

أثر هذه العبادة على سلوك الإنسان في علاقته بالخلق بحيث يكون ما عليه مع الحق . وهذا هو التدين الحقيقي ، الذي يعى رسالة الدين ، وجوهر العبادة الحقيقية لله تعالى ، وهو ما يستقيم فعلاً مع عقيدة دين الإسلام وعباداته ، وما لم تكن العبادة على هذا النحو بالذات ، فإنها تصبح حقاً صورة لا روح فيها ، أو هيكلاً فارغاً من المضمون »[1] .

« وإذا كانت حقيقة العبادات على هذا النحو ، ظهر لنا جلياً كيف استطاع أهل الطريقة النفاذ إلى حقيقتها أو بالأحرى إلى مضامينها الخلقية والروحية في آنٍ واحد ، بحيث تصبح عاملاً أساسياً في توكيد صلة الإنسان بالحق تعالى من ناحية ، وبحيث تكون كذلك تحقيقاً للحياة الخلقية مع الخلق من ناحية أخرى » [2].

من هنا نذهب إلى أن : (من لا آداب له لا سلوك له ، لأن الطريقة الأدب والأخلاق) ، ويحث مُريدوا الطريقة على أخذ هذه المسألة بقوة وعدم التهاون فيها بحال من الأحوال ، لقوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [3] الأمر الذي يعني ضرورة التزام المريد بكل الأخلاق الإسلامية والآداب الصوفية وأخذها بقوة في العلم والعمل .

---

١ – الدكتور أبو الوفا التفتازاني – مدخل إلى التصوف الإسلامي – ص ١٥ .
٢ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٥ .
٣ – مريم : ١٢ .

الآداب وتربية الظاهر والباطن

يحاول مشايخ الطريقة تربية المريدين على تزكية بواطنهم وتصفية قلـــوبهم وتطهير نفوسهم ، لقوله ﷺ : ﴿ إنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ ولَا إلى صُوَرِكُمْ ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ ﴾ [١] .

فإذا وجد الله تعالى قلب العبد حاضراً متأدباً متوجهاً لإرادة وجهه الكـــريم ، هداه واجتباه وجعله من المقربين ، ومن الوسائل التي توصل المريد إلـــى هـــذا التأدب الباطني ، هو تربية ظاهر العبد على الالتزام بالآداب الشرعية ومكـــارم الأخلاق الإسلامية ، بل ان الظاهر مرآة الباطن ، يدلك على هذا : ان رســـول الله ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : ﴿ لو خَشَـــعَ قلـــب هـــذا لَخَشَعَت جوارحهُ ﴾ [٢] .

وإنما تكون الصلاة كذلك إذا أقيمت بأركانها وسننها وتحقق صاحبها بـــأدب الظاهر والباطن ، ومن آداب الظاهر أداؤها كاملة بالجوارح ، ومن آداب الباطن الخشوع فيها .

وإنما تؤدي الزكاة والإنفاق دوراً في تزكية النفس إذا لوحظ فيها أدب الظاهر والباطن ، بكافة أركانها الظاهرة والباطنة .

أما الصيام فبالإضافة إلى انه كَفُّ البطن والفرج عن قضاء الشـــهوة ، فهـــو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، ثم صوم

---

١ - صحيح مسلم - ج٤ ص ١٩٨٦ - رقم ٢٥٦٤ .

٢ - سنن البيهقي الكبرى - ج٢ ص ٢٨٥ - رقم ٣٣٦٥ .

القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله ﷻ بالكلية .

ولكي يؤدي الحج ثمراته كاملة لا بدّ من مراعاة الآداب والأعمال القلبية فيه في كل عمل ظاهري فيه وأولها معرفة موقع الحج في الدين – ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم استتمام الأفعال الظاهرة ، وفي كل واحدة منها ، تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفَطِن ، على مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاجّ من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

ومن هذا يتبين أنَّ : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن وهذا ما قاله الشيخ أبو حفص النيسابوري [١] .

فالمظاهر لها آثارها الايجابية والفعالة على باطن المريد حيث تنقله بالتدريج من التخلق إلى التعلق ومن التعلق إلى التحقق ، من هنا ذهب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ إلى القول : « بالعلم تهتدي إلى ربك ، وبالأدب تحسن خدمة ربك ، وبأدب الخدمة تستوجب ولايته وقربه »[٢] .

يقول الشيخ أحمد الرفاعي الكبير ﷺ : « من التزم الآداب الظاهرة دخل في جنسية القوم ، وحسب في عدادهم . ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم غير ، لا يلتبس حاله عليهم ، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية ، بل تكون علة الضم ... وهذا الأدب الذي أشارت إليه الطائفة أدب الشرع »[٣] .

---

١ – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢١ .

٢ – علي الطبرسي – مشكاة الأنوار في غرر الأخبار – ص ١٣٥ .

٣ – الشيخ أحمد الرفاعي – البرهان المؤيد – ص ٢١ .

الأدب وتلازمية العلم والعمل

يقول الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : « الأدب إذا لم يجمع بـين العلـم والعمل لا يعول عليه »[1] ، إذ لا فائدة عند أهل الطريقة من العلم بلا عمـل ، مهما عظم ذلك العلم ، ولا يختلف الأمر في معرفة الآداب ودراستها ما لم تقترن بالعمل ، والى هذا أشار حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ في قوله : « العلم كالسيف والعمل كاليد ، سيف بلا يد لا يقطع ، واليد بلا سيف لا تقطع ، تعلموا ظاهراً واخلصوا باطناً »[2] .

ثم إن استخدام الأدب في مجالس أهل الكمال لها الأثر الواضح فـي تزكيـة المريد ، يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : مجالس العلماء العمـال بـالعلم تجلو القلوب وتصفيها وترقيها وتزيل قساوتها [3] ، ولهذا قال الشيخ عبد الله إبن المبارك : « نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم »[4] .

ولكي يربي مشايخ الطريقة المريدين على هذه التلازميـة فـإنهم يحملـوهم بقالهم وحالهم على التطبيـق العملـي للأخـلاق القرآنيـة والآداب المحمديـة المطهرة ، لكي تنعكس أنوار هذه الآداب على بواطنهم فتنورها وتغير الرذائـل فيها إلى فضائل ، الأمر الذي يثمر المؤمن الصالح في نفسه المصلح لغيره .

---

١ – الشيخ ابن عربي – رسالة لا يعول عليه – ص ٩ .

٢ – السيد الشيخ محمد الكسنـزان – جلاء الخاطر– ص ٦٧ .

٣ – المصدر نفسه – ص ٤٤ .

٤– الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢١ .

الأدب ومراتب الوصول

يقول الشيخ الرفاعي الكبير ﷺ : « الصوفي آدابه تدل علـــى مقامـــه »[1] ، وفي هذا يرى أهل الطريقة أن الغاية من الطاعة والعبادة هو الوصول إلى أحـــد مرتبتين : أما الفوز بالجنان أو الارتقاء إلى لقاء وجه الرحمن ، ولكلا المرتبتين على العبد أن يلتزم بالعبادة والطاعة ذاتها ، إلا أن ما يميز أهل الحضـــرة عـــن أهل الجنة هو الأدب كما يقول الشيخ أبو علي الدقاق : « العبد يصل بطاعته إلى الجنة ، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى »[2] .

فإذا كانت غاية الطريقة الوصول إلى الله تعالى فإن هذه الغاية تتطابق مـــع غاية الأدب فيما يرى الشيخ عمر السهروردي الذي يقول : « غاية الأدب : هو الفرار من الله إلى الله ، حظي بـــه رسول الله ﷺ ، فما قوبل بالقبض »[3] .

فمن طلب أن يكون من أهل الأدب مع المشايخ العـــارفين فليـــدخل طريـــق الفقراء بذل وانكسار وتسليم وانقياد كأنه أعمى مقاد ، ويترك الجـــدال ، ويقـــوي همته بالتوجه إلى الحق ، ويكثر من سؤال الهداية إلى الصراط المســـتقيم فـــي ظلمات الليالي بأن يرزقه الله الأدب والتسليم [4] .

---

١ – الشيخ أحمد الرفاعي – البرهان المؤيد – ص ٢١ .

٢ – الشيخ عمر السهروردي – عوارف المعارف – ج٥ ص١٥١

٣ – المصدر نفسه – ج٥ ص ١٥٢ (بتصرف) .

٤ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق – ج ٢ ص ٦٢ .

الآداب وأحكامها عند الصوفية

إن قضية الآداب عند أهل الطريقة أوسع مما هي في اصطلاح الفقهـاء ، فالفقيه يتحدث عن الأدب كمكمل للفرائض والواجبات والسنن ولكن الشيخ الكامل يذكر آداباً هي في باب الفرائض ، انطلاقاً من قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا بـه فهو واجب) إذ الأدب عند أهل الطريقة هو السلوك والتعامل مع الله عز وجـل ومع خلقه وهذا التعامل لا بد أن يكـون مسـتوفياً لشـروطه مـن الإخـلاص والصدق ، وهما مرتبطان بآداب معينة ، وبقدر ما يكون التفريط بآدابهما يكـون الوصول إليهما عسيراً أو ناقصاً أو مستحيلا .

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتهاون المريد بالأدب لأنه أصل تبطـل بدونه أعمال الزلفى والقربة إلى الله ، ومـن هـذا التهـاون لا يـزداد المريـد إلا عطشاً وحرماناً من كأس المعارف والوصول ، فيقول الشيخ عبـد الله إبـن المبارك : « من تهاون في الأدب عوقب بترك السنن ، ومـن تهـاون بالسـنن عوقب بحرمـان الفـرائض ، ومـن تهـاون بـالفرائض عوقـب بحرمـان المعرفة » [1]. وللأدب درجات بحسب مراتب أهل الطريق ، إذ للمبتدىء آداب تختلف عن آداب المنتهي ، يقول حضرة الشيخ عبـد القـادر الكيلانـي ﵁ : « الآداب في حق العارف كالتوبة في حق العاصي ، كيف لا يكون متأدباً وهـو أقرب الخلق إلى الخالق ؟ »[2] .

---

١ – الشيخ عبد الله اليافعي – نشر المحاسن الغالية – ص٢٢٦ .

٢ – السيد الشيخ محمد الكسنـزان – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص ٩ .

ويقول الأستاذ أبو علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهـل إلى القتل [1] ، أما أحكامها عند أهل الطريقة فإن « سـوء الأدب فـي القـرب أصعب من سوء الأدب في البعد . وقد يصفح عن الجهـال الكبـائر ، ويؤخـذ الصديقون باللحظ والالتفات »[2] .

ويضع مشايخ الصوفية الأدب في مرتبة الأساس أو القاعدة التي يبتنى عليها كل شيء ومن فقدها فلا عمل يبقى له ولا وصول ، ولهذا يقول الشيخ الجلاجلي البصري : « التوحيد موجب يوجب الإيمان ، فمن لا إيمان له لا توحيد له ، والإيمان موجب يوجب الشريعة ، فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له ، والشريعة موجب يوجب الأدب ، فمن لا أدب له لا شريعة لـه ولا إيمان ولا توحيد »[3] .

كما يقول الإمام القشيري : « ترك الأدب موجب ، يوجب الطـرد ، كمـا قيل : من أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب »[4] .

إذاً فالمسألة تستوجب معرفة الآداب والعمل بها ، وبقدر مـا تتـوفر الآداب يكون الوصول إلى الكمال آكد [5] .

---

١ – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢١ .

٢ – بولس نويا – نصوص صوفية غير منشورة ، لشقيق البلخي – ابن عطاء الأدمي – النفـري – ص١٣٦ .

٣ – الشيخ السراج الطوسي – اللُّمَع في التصوف – ص ١٤٣ .

٤– الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٢١ .

٥ – تربيتنا الروحية – سعيد حوى – ص ٢٤٩ –٢٥٠ .

الفصل الثاني

الآداب في الطريقة الكسنزانية

الطريقة : هي التطبيق الظاهري والروحي للكتاب الكريم والسنة المطهـرة ، وهي التطبيق الحي لما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ في إتبـاعهم لأقوالـه وأفعاله وأحواله وتأدبهم معه في حضوره وغيابـه ﷺ ، فقـد ربـى رسـول الله ﷺ صحابته الكرام على الخلق الحسن والآداب الربانية كما لم يسبق لهـذه التربية من مثيل ، وذلك لأنها تربية لم تقف عند حدود الوعظ والإرشـاد ، بـل كانت مصحوبةً بالتأثيرات الروحية والنفحات النورانية ، التي مـا فتئـت تلـين القلوب وترقق الأفئدة وتشفف النفوس ، فتحولها من الفظاظة والغلاظة إلى اللين والبساطة ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [1] .

وهذا من الآداب الإلهية التي أشـار إليهـا رسـول الله ﷺ فـي قولـه : ﴿ أَدَّبني ربّي فَأَحسنَ تـأديبي ﴾ [2] ، وهـي الآداب التـي زرعهـا رسـول الله ﷺ في قلوب أصحابه لأنه وكما قال تعالى عنه ﷺ : ﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [3] .

فبالرحمة ذاتها أدَّب رسول الله ﷺ صحابته الكرام حتى صاروا كـالنجوم

---

١ – آل عمران : ١٥٩ .

٢ – فيض القدير – ج ١ ص ٢٢٥ .

٣ – الأنبياء : ١٠٧ .

بأيهم اقتديتم اهتديتم[1] .

إن رحمة رسول الله ﷺ المرسلة للعالمين لا يحدها زمـان ولا يحصـرها مكان ، فهي تشمل بعين عنايتها الأولين كما تشمل الآخرين ، وهي ذاتها التـي باركت ونفعت الصحابة الكرام فإنها تبارك وتنفع التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلـى يوم الدين ، وما ذلك إلا لأن نور الله الذي أنزله بالهدى ودين الحق حـي بـاق لا يطفأ ولو كره الكافرون .

وإذا كان الصحابة الكرام ﷺ قد استفادوا من تأديب رسول الله ﷺ حسـاً ومعنىً ، فإنَّ لنوره الطاهر وروحانيته المباركة ورثة روحيـين حملـوا أمانـة التربية والإرشاد ودعوا إلى الله بإذنه ، فكانوا سـراجاً منيـراً فـي أزمـانهم ، وأعلاماً للخير والصلاح بين أقوامهم ، أولئك هم أئمة الهدى ومشـايخ التقـى ، مشايخ الطريقة الذين لا يزالون يتوارثون النور المحمدي يداً بيـد إلـى يومنـا هذا ، يحافظون بذلك على الأحوال السـنية ، والآداب المرضـية التـي جـاء بها رسول الله ﷺ لأمته من يوم ظهوره إلـى آخـر الـدهر ، ولهـذا قـال الإمام الغزالي : « الشيخ في قومه كالنبي في أمتـه ، ومـن لـيس لـه شـيخ فالشيطان شيخه »[2] ، وكذلك قال الشيخ أحمد الرفاعي الكبير ﷺ : « الشيخ في قومه كالنبي في أمته ، والشيخ سُلَّم الفقير يصل به إلى معالي الأمور »[3] .

---

١ – من حديث للرسول ﷺ ورد في تحفة الأحوذي – ج ١٠ ص ١٥٥.

٢ – الإمام الغزالي – سر العالمين وكشف ما في الدارين – ص ١٤٤ .

٣ – السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي – قلادة الجواهر في ذكر الغـوث الرفـاعي وأتباعـه الأكابر – ص ١٦٥ .

وقد وضح الشيخ قطب الدين الدمشقي الأمر أكثر فقال : « قال النبي ﷺ : ﴿ الشيخُ في قومهِ كالنبيُ في أمتهِ ﴾ و﴿ علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل ﴾ ، فكما أن الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبي ﷺ ... فإن الشيطان لا يمكنه التصور بصورة الشيخ المتابع للنبي ﷺ فيبقى المريد محفوظاً »[1] .

فشيخ الطريقة مثل النبي ﷺ في كل شيء إلا النبوة ، فهو نائبه ووكيله العام ، والوكيل كالأصيل ، أي انه مثله ولكن بما يتناسب ومرتبة الولاية التي اختص بها ، فكما أن النبي داعٍ إلى الله بإذنه ، فكذلك الشيخ ولكنه داع إلى الرسول ﷺ الداعي إلى الله تعالى .

وكما أن النبي الواسطة بين الخلق والحق ، فكذلك الشيخ ، لكنه واسطة بين المريد والرسول ﷺ .

وكما أن النبي يدعو بالحكمة التي هي المعجزة ، فكذلك الشيخ يدعو بالحكمة ولكنها الكرامة .

وكما أن النبي معصوم في أقواله وأفعاله وأحواله ، فكذلك الشيخ ولكنه محفوظ في ذلك .

وكما أن النبي أمين الوحي ، فكذلك الشيخ ولكنه أمين الإلهام .

وكما أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فكذلك الشيخ ولكنه في الاقتداء به ظاهراً وباطناً ، لهذا قال الشعراني : « الشيوخ ﷺ نواب الشارع ﷺ في إرشاد جميع الناس ، بل هم ورثة الرسل على الحقيقة ،

---

١ – الشيخ قطب الدين البكري – مخطوطة الرسالة المكية في الطريقة السنية – ص ٨١ – ٨٢ .

ورثوا علوم شرائعهم غير أنهم لا يشرعون ، فلهم حفظ الشريعة في العموم ، وما لهم التشريع ، ولهم حفظ القلوب من الميل إلى غير مرضاة الله ، ومراعاة الآداب الخاصة بأهل الحضرة الإلهية »[1] .

وما قول أهل الطريقة بذلك إلا تلخيصاً لتلازم علاقتين روحيتين ، البرزخ الوسط بينهما شيخ الطريقة وهما : العلاقة الروحية بين الشيخ وحضرة الرسول ﷺ من جهة والعلاقة الروحية بين الشيخ وقومه من جهة أخرى .

ففي العلاقة الأولى : يكون الشيخ وارثاً روحياً لأقوال الحضرة المحمدية المطهرة وأفعاله وأحواله ، فانياً في نوره ﷺ .

وفي العلاقة الثانية : يكون الشيخ ولياً مرشداً مربياً مأذوناً بالدعوة والإرشاد إلى الحق والحقيقة بالحكمة والموعظة الحسنة التي نزل بها النور المحمدي ﷺ ، فيكون في قومه وكأنه نسخة ثانية من حضرة الرسول الأعظم ﷺ ، آمراً بأمره ناهياً بنهيه في قاله وحاله ، وفي حله وترحاله ، بمعنى أنه يكون متحققاً بالمرتبة الروحية التي وهبها حضرة الرسول الأعظم ﷺ للإمام علي ﷺ من كونه منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة ، وهكذا المشايخ إنهم يمثلون بين أقوامهم حضرة النبي ﷺ في كل شيء إلا النبوة ، وعلى هذا يصبح « الأشياخ ورثته ﷺ في مقام الأدب معهم ، وإن تفاوت المقام »[2] ، فما يجب على المريد من أدب اتجاه حضرة الرسول الأعظم ﷺ هو ما يجب عليه من الأدب

---

١ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية – ج١ص١٧٣ .

٢ – المصدر نفسه – ج٢ص ٨٠ .

اتجاه شيخه ، فهو بتأدبه هذا مع الشيخ يكون متأدباً مع الرسول ﷺ بالوساطة.

وفي ذلك يقول الشيخ عمر السهروردي : « فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله ﷺ ، وإن الذي يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله ﷺ واعتمده مع رسول الله ﷺ »[1] .

ويقول الشيخ أبو النجيب ضياء الدين السهروردي : « على المريد أن يكون في صحبته للشيخ كالصحابة مع النبي ﷺ في تأدبهم بآداب القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسولِه ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ لا تَرْفَعوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ لا تَجْعَلوا دُعاءَ الرَّسولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾[4] .. [5] .

وهذا يعني أن تكون طاعة المريد للشيخ طاعةً كاملة في كل ما يأمره به وينهاه عنه ، كما فرض الله ﷻ على المسلمين إطاعة الرسول ﷺ : ﴿ وَما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهوا ﴾[6] ، فيكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ، أو كالتراب في استسلامه التام تحت الأقدام التي تدوسه ، يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : « من أراد

١ – الشيخ عمر السهروردي – عوارف المعارف – ص٢٨٥ .

٢ – الحجرات : ١ .

٣ – الحجرات : ٢ .

٤ – النور : ٦٣ .

٥ – الشيخ ضياء الدين السهروردي – مخطوطة آداب المريدين – ص ٢٥ .

٦ – الحشر : ٧ .

الصلاح فليصر أرضاً تحت أقدام الشيوخ »[1] .

من هنا تنبثق الحياة الروحية للآداب الإسلامية ، إذ تصبح عند المريد واقعاً معاشاً يتعامل بها مع شيخه وكأنه في عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم عندما كانوا يتأدبون مع حضرة الرسول الأعظم ﷺ ، ومن خلال هذا الواقع العملي تكتسب روحه الآثار الايجابية والأحوال الزكية التي ترتقي به في مراتب القرب كما ارتقت بالذين من قبله .

فالمريد في الطريقة الكسنزانية يدرك أهمية الشيخ والمربي ، ويدرك ما يترتب عليه من عبادات ابتداءً من الطهارة والوضوء وانتهاءً بالوصول إلى الحضرة القدسية ، وكل ما يزخر به المنهاج الكسنزاني من أذكار وسنن ونوافل ، لا أهمية ولا وصول ولا ثمرة بهذه العبادات إلا بحسن الأدب فيها.

وقد شرع مشايخ الطريقة بوضع آداب للمريد في كل عمل يقوم فيه سواء كان دنيوياً أم آخروياً فوضعوا آداباً للعبادات وللأذكار ولمجلس الشيخ ولمجلس السماع ومجالس العلم والتلقي ومع أخوانه وفي الطرقات وفي المأكل والمشرب والملبس وغيرها من جوانب حياة المريد .

ومما يترتب على ذلك كله جملة من الآداب ، ينبغي على المريد الاطلاع عليها والعمل بها ليحفظ حرمة رسول الله ﷺ في قلبه ، وليتنور باطنه فيعظم شعائر الله ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [2] .

---

١ - انظر: جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر الكيلاني للسيد الشيخ محمد الكسنزان- ص ٨ .

٢ - الحج : ٣٢ .

آداب المريد في العبادات

تعتبر العبادات من أعظم المهمات في الإسلام ولا يمكن للمتعبد ان يمارسها أو ينال بركتها إلا من خلال الشهادة التي هي : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وهي الركن الأول من أركان الإسلام ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة ، وهي جزآن :

شهادة (أن لا إله إلا الله) وشهادة (أن محمداً رسول الله)

شهادة (أن لا إله إلا الله)

حقيقتها ومعناها : تشتمل حقيقة الشهادة ومعناها على معانٍ متلازمة ، نذكر لمزيد الإيضاح ، أهمها :

أ . إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة .

ب . البراءة من الشرك وأهله .

ج . أن لا يتخذ العبد من دونه حكماً يحتكم إليه .

لشهادة أن لا إله إلا الله شروط يجب على كل مسلم ان يتعلمها ويطبقها وهذه الشروط مأخوذة بالاستقراء والتتبع من الكتاب والسنة ، وهي كما يلي :

١ . العلم ، ودليله قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إله إِلَّا اللَّهُ ﴾[1] .

وروى البخاري عن عثمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ مَاتَ

١ – محمد : ١٩ .

وهو يعلمُ أنَ لا إلهَ إلا الله دخلَ الجنة ﴾ [1] .

والمراد الحقيقي بمدلول الشهادتين وما يستلزمُهُ كل منهما من العمل ، وضد العلم الجهل ، وهو الذي أوقع الناس في الشرك بسبب مخالفة معناهـا ، حيث جهلوا معنى الإله ، ومدلول النفي والإثبات ، وفاتهم أن القصد من هـذه الكلمة معناها ، وهو الذي خالفه المشركون العالمون بما تدل عليه ، حيث قالوا : ﴿ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً ﴾[2] ، وقالوا : ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾[3] .

٢ . اليقين : وضده الشك والتوقف أو مجرد الظن والريب ، والمعنى أن من أتى بالشهادتين فلابد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله ، من أحقية إلهيـة الله تعالى ، وصحة نبوة محمد ﷺ وبطلان إلهية غير الله بأي نـوع مـن التألـه وبطلان قول كل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ ، فإن شك في صحة معناهـا أو توقف في بطلان عبادة غير الله لم تنفعه هاتان الشهادتان .

ودليل هذا الشرط ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال في الشهادتين : ﴿ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾[4] .

وفي الصحيح عنه أيضاً إن النبي ﷺ قال له : ﴿ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ﴾[5] .

---

١ – صحيح ابن حبان – ج ١ ص ٤٣٠ – رقم ٢٠١ .

٢ – ص : الآية ٥ .

٣ – ص : الآية ٦ .

٤ – صحيح مسلم – ج ١ ص ٥٥ – رقم ٢٧ .

٥ – رواه مسلم في باب الدليل على من مات – رقم ١٤.

وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّــذِينَ آمَنُــوا بِاللَّــهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[1] ، وذم المنافقين بقوله : ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِــي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[2] ، وقد روي عن ابن مسعود ﷺ ان رسول الله ﷺ قــال : ﴿ الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الإِيمَانُ كله ﴾[3] ولا شك أنَّ من كــان موقنــاً بمعنى الشهادتين فإن جوارحه تنبعث لعبادة الرب وحده ولطاعة الرسول ﷺ .

٣ . الصدق : وضده الكذب ، وقد ورد اشتراط ذلك في الحديث عنه ﷺ : ﴿ مَنْ قالَ لا إله إلا الله صادقاً مِنْ قلبِهِ دخلَ الجنة ﴾[4] .

فأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه ، كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، فقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[5] .

٤ . الإخلاص : وضده الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[6] ، وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ﴿ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ ﴾[7] .

---

١ – الحجرات : ١٥ .

٢ – التوبة : ٤٥ .

٣ – ذكره البخاري تعليقاً كما في الفتح ١ / ٤٥ وأبو نعيم في الحلية .

٤ – رواه أحمد في المسند ٤ / ١٦ عن رفاعة الجهني ، ورواه أحمد أيضاً ٤ / ٤٠٢ عن أبي موسى .

٥ – المنافقون : ١ .

٦ – الزمر : ٢ – ٣ .

٧ – رواه البخاري وغيره .

٥ . المحبة : المنافية لضدها من الكراهية والبغضاء ، فيجب على العبد محبة الله ومحبة رسوله ومحبة كل ما يُحَب من الأعمال والأقوال ، ومحبة أوليائه وأهل طاعته ، فهذه المحبة متى كانت صحيحة ظهرت آثارها على البدن فترى العبد الصادق يطيع الله ويتبع رسوله ﷺ ، ويعبد الله حق عبادته ، ويتلذذ بطاعته ويسارع إلى كل ما يحبه مولاه من الأقوال والأعمال ، وتراه يحذر المعاصي ويبتعد عنها ويمقت أهلها ويبغضهم ، ولو كانت تلك المعاصي محبوبة للنفس ولذيذة في العادة ، لعلمه أن النار حفت بالشهوات ، والجنة حفت بالمكاره ، فمتى كان كذلك فهو صادق المحبة ، ولهذا سُئل ذو النون المصري رحمه الله : متى أحب ربي ؟ فقال : إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر [1].

ويقول بعضهم : من ادعى محبة الله ولم يوافقه فدعواه باطلة ، وقد اشترط الله لعلامة محبته إتباع سنة النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2] .

٦ . الكفر بما يعبد من دون الله : وأخذ هذا الشرط من قوله ﷺ : ﴿ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[3] ..[4].

---

١ – ذكره أبو نعيم في الحلية – ج ٩ ص ٣٦٣ .

٢ – آل عمران : ٣١ .

٣ – رواه مسلم .

٤ – جمع وإعداد بعض طلبة العلم – المختصر في شرح أركان الإسلام – ص ٩ – ٢٠ .

شهادة (أن محمداً رسول الله)

« سبقت الإشارة إلى أن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تدخل في شهادة ألا إله إلا الله حقيقةً ومفهوماً ، فكل ما تقدم عن معنى الشهادة يشمل الجملتين ولو لم يذكر إلا الجملة الأولى (شهادة أن لا إله إلا الله) .

غير أن الشهادة بأن محمداً رسول الله قُرِنتْ بالشهادة لحِكَم عظيمة ومعانٍ جليلة تدل عليها ، ومنها :

١ . محبته ﷺ : وهي أصل عظيم من أصول الإيمان فلا يكون المرء مؤمناً إلا بها ولا يبلغ الإيمان إلا بكمالها ، قال ﷺ : ﴿ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[1] .

٢ . إتباعه وطاعته ﷺ وهذا أعظم لوازم محبته والإيمان به ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[2] ،فمن اعتقد أن أحداً يسعه الخروج عن طاعته أو الوصول إلى الله من غير سلوك طريقته فقد كفر ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ ﴾[3] .

٣ . تصديقه في كل ما اخبر به ﷺ : فمن رد شيئاً مما جاء به وكذبه فيه

---

١ – رواه البخاري ومسلم .

٢ – آل عمران : ٣١ – ٣٢ .

٣ – النساء : ٦٤ .

فهو كافر سواءً كان رده إتباعاً للهوى أو لشريعةٍ منسوخةٍ أو فلسفةٍ موروثةٍ أو علم وضعي ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[3]، وقال ﷺ : ﴿ والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار ﴾[4] فهذا حق في أهل الكتاب وغيرهم أولى بذلك وأحرى .

٤ . تحكيمه ﷺ في كل أمر فلا يقدم على قوله وحكمه قولاً ولا حكماً ولا رأياً لأحد كائناً من كان ، قال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[7] .

وعلى هذا فكل من حكَّم القوانين الوضعية والآراء الجاهلية فقد ناقض الشهادة بأن محمداً رسول الله .

---

١ – الزمر : ٣٣ .
٢ – التغابن : ٨ .
٣ – النجم : ٣ – ٤ .
٤ – رواه مسلم .
٥ – النساء : ٦٥ .
٦ – الحجرات : ١ .
٧ – الأحزاب : ٣٦ .

الطهارة

آداب المريد في الوضوء

« الطهارة هي النظافة والنزاهة عن الأقذار والنجاسات ، وهي واجبة على المسلم لقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ ﴾[2] ، ولقول الرسول الكريم ﷺ : ﴿ لا تُقبَلُ صلاة بغيرِ طهورٍ ﴾[3].

وهذا ما يسمى بالطهارة الحسية .

وقد ذكر الله تعالى معناً آخر للطهارة هي المعنوية بقوله تعالى : ﴿ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] .

وعلى هذا فالدلالة الحقيقية لمفهوم الوضوء تُفهم من خلال معنيين :

أولهما : يتعلق بظاهر البدن ، وثانيهما : يتعلق بالقلب أو الروح .

والأول هو الذي يختص بالأعضاء الظاهرة وذلك مما اهتم ببيان شرائطه الفقهاء ، والثاني هو الذي يحرص عليه اهل الطريقة دوماً ، وهو ما يختص بطهارة النفس عن مذموم الأخلاق وعن كل ما سوى الله ، وكسب

---

١ – المدثر : ٤ .

٢ – المائدة : ٦ .

٣ – رواه مسلم .

٤ – الأحزاب : ٥٣ .

٥ – المجادلة :١٢

الأخير صعب ، لأنه يستلزم من المرء أن يمشى على غير مرادات نفسه [١] .

ولهذا يرى أهل الطريقة أنه يجب على كل من يريد الدخول على حضرة الله أن يستفرغ من باطنه خبث المعصية ولا يترك في باطنه ولا في ظاهره بقية منها من أوصافه النفسانية ، لأن النفس الأمارة هي أخبث الموجودات على حد قول بعضهم [٢] .

وإذا كان الوضوء ضرورة لتحقيق الطهارة الصغرى من الحدث في جوارح الجسد وأطرافه في كل ناحية ، فإن هذا الوضوء للأعضاء الظاهرة يحقق صلاة المرء في مقام الإسلام . أما الوضوء الذي يحقق الإيمان فهو الذي يتحقق من خلال طهارة الباطن وعمارته بالتوبة عن كل مذموم من الأخلاق التي لا يحبها الله .

وحيث ان الدين كله مبني على الطهارة ، وبحيث يصبح لازماً على المرء أن يتطهر من الأوساخ ظاهراً وباطناً ، حتى يكون متشبهاً بالملائكة الكرام كما يقول الشعراني ، فإنهم منزهون عن سائر المخلوقات عابدون لربهم بتلك الطهارة [٣] . . .

إنَّ طهارة الظاهر تكون بالماء وطهارة الباطن بالرجوع إلى حضرة الله تعالى ، لأنه إذا كانت الأولى ضرورة لطهارة البدن لتصح الصلاة ، فكذلك لابد من طهارة القلب لتصح الصلاة وتصح كذلك المعرفة بالله [٤] .

---

١ – ابن عربي – مخطوط أسرار الوضوء – دار الكتب المصرية – ورقة ١٧ .

٢ – ابن علوية – المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية – ص ٩٤ .

٣ – الشعراني – أسرار أركان الإسلام – تحقيق عبد القادر أحمد عطا – ص ٣٦ .

٤ – الهجويرى – كشف المحجوب – ج ٢ ص ٥٤٢ .

وللطهارة من حيث الظاهر والباطن ، مراتب تتجلى معانيها فيها :

أولها : كما يقول الإمام الغزالي : تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث والفضلات .

الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام .

الثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوته .

الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي مرتبة الأنبياء والصديقين [1] .

ولا شك ان الأخيرة هي أصعب مراتب الطهارة وهذا طبيعي لأنه كلما عز المطلوب كما يقول الغزالي وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت أعبائه [2].

ولأهمية الطهارة والوضوء هذه قال رسول الله ﷺ : ﴿ ذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ ﴾[3] .

ولهذا على المريد بعد إتقانه لأحكام الوضوء الشرعية كما هي موضحة في محلها من مصادر الفقه الإسلامي أن يحاول الالتزام بالآداب الآتية :

---

١ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١١٦ .

٢ – الهجويرى – كشف المحجوب – ج ٢ ص ٥١٢ .

٣ – صحيح مسلم – ج ١ ص ٢١٥ – رقم ٢٤٤ .

● على المريد أن يكون مستديم الوضوء ، لأنه سلاح المؤمن ، وقد قيل : إن الجوارح ما دامت في وضوء فإنها في حماية أثرٍ شرعي ، يقلل طروق الشيطان عليها ، وحول هذا الأدب قال أنس بن مالك : قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن ثمان سنين ، فقال لي : ﴿ **يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك ... يا أنس بت وأنت طاهر ، فإن مت مت شهيدا** ﴾ [1] .

وحكي عن الحصري انه قال : مهما انتبهت من النوم في الليل فلا أعود إلى النوم إلا بعد أن أقوم وأجدد الوضوء لئلا أنام على غير طهارة .

وروى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر : ﴿ **يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ** ﴾ .

قال : مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ [2] .

● ترك الإسراف في الماء والوقوف على حد العلم .

● صلاة ركعتي سنة الوضوء : قال العالم الرباني الشيخ الشعراني في العهود المحمدية : « أُخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نواظب على الركعتين بعد كل وضوء ، بشرط ألا نحدث فيهما أنفسنا بشيء من أمور الدنيا ، أو بشيء لم يشرع لنا في الصلاة . ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به ، حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى . ثم قال :

---

١ – مسند أبي يعلى الموصلي – ج ٩ ص ٣٢٨ – رقم ٤١٨٠ .

٢ – صحيح البخاري – ج ١ ص ٣٨٦ – رقم ١٠٩٨ .

فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح ، يشغلك بالله تعالى ، حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك : أروح لكذا ، أفعل كذا ، أقول كذا ، أو نحو ذلك ، وإلا فإن لازمك حديث النفس في الصلاة ، ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة ، لا فرض ولا نفل ، فاعلم ذلك ، وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ ، كما عليه طائفة المجادلين بغير علم ، فإن ذلك لا يصح لك أبداً » [1] .

● يلزم حضور القلب في الوضوء ، بنفس حضوره في الصلاة ذاتها ، لأنه إذا دخل السهو الغفلة في الوضوء ، فقد دخلت الوسوسة والغفلة في الصلاة كذلك [2] .

● إن لكل ركن من أركان الوضوء مفهوماً ذوقياً عند المريد يستذكره من الطهارة والدخول منها في حضرة الحق تعالى :

فحين يستنجي العبد ويتخلص من نجاسة الظاهر عليه أن يطلب النجاة من محبة الغير بالباطن ، وحين يغسل اليدين فإن عليه أن يغسل قلبه من حب الدنيا والتعلق بها ، وحين يجعل الماء في فمه ، فلابد له كذلك من تخليته عن ذكر الغير ، وهكذا في كل ركن من أركان الوضوء ، فإن الاستنشاق دلالة على كراهية الشهوات ، ولابد ان يصحبه ذلك ، غسل الوجه ، يستلزم الإعراض عن المألوفات ، وأما المسح على الرأس فلابد معه من تسليم الأمور كلها للحق تعالى ، وأما غسل القدمين ، فلابد أن يصحبه عند القيام به أنه لا تجب على العبد الإقامة إلا على نحو ما أمر الله تعالى به [3].

---

١ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية – ج ١ ص ٥١ .

٢ – السهروردى البغدادي – عوارف المعارف – ص ٢٩٧ .

٣ – الهجويرى – كشف المحجوب – ج ٢ ص ٥١٢ .

آداب المريد في الصلاة

الصلاة لغة بمعنى الذكر والانقياد ، وهي في جريان عبارات الفقهاء عبادة مخصوصة تطلق على هذه الأحكام المعتادة [1].

وهي أمر من الحق تعالى لعباده أن يقيموها لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾ [2] ولقوله تعالى : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾ [3] وهي لهذا من لوازم المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ [4] ، بل إنها خصيصة للمؤمنين المتقين لقوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [5] . وليس أدل كذلك على منزلة الصلاة في الإسلام من قول النبي ﷺ : ﴿ إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ ﴾ [6] .

والصلاة أول فريضة فرضها الحق تعالى على نبيه ﷺ ، وهي آخر ما أوصى به أمته ، وأخر ما يذهب به الإسلام وأول ما يسأل عنه العبد ، وليس بعد ذهابها دين ولا إسلام ، وهي لما كانت كذلك فإن خطرها عظيم

---

١ – المصدر السابق – ج ٢ ص ٥٤٢ .

٢ – البقرة : الآية ٤٣ .

٣ – البقرة : الآية ٢٣ .

٤ – النساء : الآية ١٠٣ .

٥ – البقرة : الآية ٢ – ٣ .

٦ – أنظر المحرر في الحديث في بيان الأحكام الشرعية لابن قدامه الحنبلي – ص ٣٢ – ٣٩ – والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه .

وأمرها جسيم على حد قول الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ [1] بل ليس من العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين إلا الصلاة [2] .

وقد اجتمع في الصلاة كما يقول ابن عطاء الله السكندري ما لم يجتمع في غيرها من : الطهارة ، والصمت ، واستقبال القبلة بالتكبير ، والقراءة ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، والتسبيح ، إلى غير ذلك ، فهي مجموع عبادات كثيرة [3] بل إن سائر العبادات تعتبر وسائل إلى تحقيق سر الصلاة [4] .

وحقيقة الصلاة : هو حضور القلب بنعت الذكر ، والمراقبة بنعت الفكر ، وهي اتصال بين العبد وربه خالية من كل التفاتٍ إلى (غير) ، وهي معراج المؤمن للحضرة القدسية ، فالذكر في الصلاة يطرد الغفلة التي هي الفحشاء ، والفكر يطرد الخواطر المذمومة التي هي المنكر ، وهذه الصلاة كما تنهى صاحبها وهو في الصلاة عما ذكر ، كذلك تنهاه وهو في خارجها عن رؤية الأعمال وطلب الأعواض ، ومثل هذه الصلاة قرة عين العارفين ، لأنها مبنية على المعاينة لا على المغايبة [5] .

يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : « الصلاة هي قربان كل تقي » [6] .

ويروى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ أنه كان يحضر عنده القاضي وفقهاء الإسكندرية ، فجاءوا مرة مختبرين للشيخ فتفرس فيهم وقال : يا فقهاء

---

١ – الشيخ عبد القادر الكيلاني – الغنية لطالبي طريق الحق – ج ٢ ص ١١٠ .

٢ – الشيخ ابن عربي – الفتوحات المكية — ج ١ ص ٢٥٦ .

٣ – ابن عطاء الله السكندري – التنوير في إسقاط التدبير – ص ٢١٤ — ٢١٥ .

٤ – السهروردي البغدادي – عوارف المعارف – ص ٣٠٤ .

٥ – الشيخ إسماعيل حقي البروسوي – تفسير روح البيان – ج ٦ ص ٤٧٤ .

٦ – الشيخ محمد عبده – نهج البلاغة – ج ٤ ص ٣٤ .

هل صليتم قط ؟

فقالوا : يا شيخ وهل يترك أحدنا الصلاة ؟

فقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأِنْسانَ خُلِقَ هَلوعــاً . إِذا مَسَّــهُ الشَّــرُّ جَزوعاً . وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنوعاً . إِلّا الْمُصَلّينَ ﴾[1] فهل أنتم كذلك ؟ إذا مسكم الشر لا تجزعون ؟ وإذا مسكم الخير لا تمنعون ؟

قال : فسكتوا جميعاً .

فقال لهم الشيخ : فما صليتم هذه الصلاة قط »[2] .

ومن هنا نقول : إن الصلاة معراج لأنها وفي وقتها وبحضور القلب يرفع فيها الحجاب بين العبد وربه .

ومن أدب المريد في الصلاة :

- أن يعلم المريد أحكامها وآدابها المشروعة وفضائلها ونوافلها بل إن الأمر يستوجب عندهم كذلك كثرة مساءلة العلماء ، والبحث عما يحتاج إليه في ذلك ، بما لا يسعه الجهل ، لأن الصلاة عماد الدين[3] .

- أول الصلاة تطهر أخلاقي بداية ونهاية ، والطهارة ضرورة للدخول في الصلاة بل وفي القيام بغيرها من العبادات ، وانها تصبح خصيصة لا تنفك عنها الصلاة في كل حركة من حركاتها ، وبحيث يتحقق بها المصلّي دوماً مع الحق والخلق معاً .

---

١ – المعارج : ١٩ – ٢٢ .

٢ – الشيخ ابن عطاء الله السكندري – تاج العروس – ص ٢٢ .

٣ – الطوسي – اللمع – ص ٢٠٣ .

ومن الجلي أن الطهارة بهذا المفهوم بالذات ، لا يراد بها الطهارة من النجاسات والأوساخ الظاهرة وحدها او ما يسمى بالطهارة الحسية ، بل يراد أيضاً بها الطهارة من الأوساخ الخلقية الباطنة او ما يسمى بالطهارة المعنوية .

● أَحْسِن صلاة جوارحك ، واحتفظ عليها جهدك ، ليصلي قلبك ، لأن صلاة الجوارح وسيلة لصلاة القلوب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [1] ، يعني : صلاة القلوب ، لا صلاة الجوارح . لأن صلاة الجوارح غايتها أن تنتهي عن الفواحش الظاهرة ، ولا تنتهي عن الفواحش الباطنة ، مثل الحسد والكبر ، والبغض ، والحرص وما أشبه ذلك . والفواحش الظاهرة أخف من الفواحش الباطنة ، فإنه لا يعرفها إلا من أخذ الله بيده ، وجمعه مع أرباب القلوب . فطهر قلبك ، لتصلي مع أرباب القلوب ، وأما ما دام متنجساً بأنواع الفحشاء والمنكر فلا تطمع أن تصلي صلاة واحدة ، فضلاً عن الصلاة الدائمة ، التي هي اتصال الحضور ، وملازمة السرور [2] .

● خشوع القلب وذله وانكساره في الصلاة يؤدي إلى خشوع الأبدان ، فإن الصلاة من هذه الحيثية بالذات هي من أعظم العبادات التي يظهر فيها هذا الأمر الذي هو حقيقة العبادات على اختلاف صورها [3] لكونها أصبحت محل اجتماع الصفات الحميدة كالخشوع والخضوع وإظهار العبودية لله ظاهراً وباطناً .

---

١ – العنكبوت : ٤٥ .

٢ – الإمام محمد بن أحمد البوزيدي – الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية – ص ٩٨ – ٩٩ .

٣ – ابن رجب – الخشوع في الصلاة – ص ٢٠ .

ولكي يكتمل هذا المفهوم الذوقي الحقيقي للصلاة ، ينبغي ألا تنفك الصلاة عن الخشوع والخضوع التام من جانب المصلي ظاهراً وباطنا بحيث يكون قلبه خاشعاً ، وجوارحه ساكنة خاشعة بين يدي الحق تعالى ، قال الشيخ سفيان الثوري : من لم يخشع في صلاته فقد فسدت صلاته .

ومن ثم أكد الإمام الغزالي على أن الصلاة قرينة الخشوع وحضور القلب [١] ، ولهذا صارت مثل هذه الصلاة بالذات قرينة للمؤمنين المفلحين ، بدليل أن الله تعالى قد مدحهم لخشوعهم في صلاتهم لقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الذين هم في الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [٢] .

● يتوجب على المريد أن لا يلهو عن صلاته ، فقد تكون هذه الصلاة كما يقول المحاسبي آخر صلاة يصليها ، فتأتي صلاة أخرى وهو ميت أو مريض أو مغلوب عنها على حد قوله [٣] .

ومثل هذه الصلاة كانت دأب المؤمنين المتقين المحافظين على إقامة الصلاة كما أمرهم بها الحق تعالى ، وهي الصلاة التي كان عليها السلف الصالح ، فقد كان إذا قام أحدهم للصلاة كأنه عود من الخشوع [٤] وقد روى أئمة المفسرين من سلف الأمة أن قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [٥] أنه من أثر الخشوع في الصلاة .

---

١ - الإمام الغزالي - أحياء علوم الدين - ج ١ ص ١٤٥ – ١٧٦ .

٢ - المؤمنون : ١- ٢ .

٣ - المحاسبي - فهم الصلاة - ص ٥٩ .

٤ - المحاسبي- كتاب الوصايا - ص ١٤١ .

٥ - الفتح : الآية ٢٩ .

وحين تصبح الصلاة هكذا خشوعاً وخضوعاً دائمين من المصلي بين يــدي الله بجوارحه الظاهرة ، والباطنة ، فإنها تصبح فعلا صلاة حقيقية يقبلها الحــق تعالى ، بل ولا غرو أن يرفعه الله بها إلى أعلى عليين !!

فإذا لم تكن الصلاة هكذا فقد صارت مجرد حركات آلية يؤديها المصــلي ، مهما نطق به لسانه من الكلمات !! [1] .

وروي عن الحسن أنه قال : فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع [2] .

ويقول الشيخ نجم الدين الكبرى في معنى الخاشعون في القرآن :

« خاشعون ، أي : بالظاهر والباطن .

أما الظاهر ، فخشوع الرأس : بانتكاسه .

وخشوع العين : بانغماضها عن الالتفات .

وخشوع الأذن : بالتذلل للاستماع .

وخشوع اللسان : القراءة والحضور والتأني .

وخشوع اليدين : وضع اليمنى على الشمال بالتعظيم كالعبيد .

وخشوع الظهر : إنحناؤه في الركوع مستوياً .

وخشوع الفرج : بنفي الخواطر الشهوانية .

وخشوع القدمين : بثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة .

وأما الباطن : فخشوع النفس : سكونها عن الخواطر والهواجس .

---

١ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ١٩ .

٢ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٤٦ .

وخشوع القلب : بملازمة الذكر ودوام الحضور .

وخشوع السر : بالمراقبة في ترك اللحظات إلى المكونات .

وخشوع الروح : استغراقه في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفة الجمال والجلال »[1] .

● تجنب الرياء في الصلاة لقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ● الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ● الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ● وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [2] حتى قال أحدهم منذ أربعين سنة أشتهي أن أضع يداً على يد في الصلاة ما يمنعني إلا أن يكون قد أظهرت من الخشوع ما ليس في القلب مثله [3].

● استعمال الصبر مع الصلاة : قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [4] وتوكيداً لهذا المعنى ذاته ، فقد جعل الحق تعالى الصبر والصلاة مقترنين إشارة إلى أنه يحتاج في الصلاة إلى الصبر على ملازمة أوقاتها والصبر على القيام بواجباتها ومستوياتها بالإضافة إلى الصبر الذي يمنع القلوب من غفلاتها [5] ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [6] .

---

١ – الشيخ إسماعيل حقي البروسوي – تفسير روح البيان – ج ٦ ص ٦٧ .

٢ – سورة الماعون : من الآية ٤ – ٧.

٣ – السهروردي البغدادي – عوارف المعارف – ص ٣٢٠ .

٤ – البقرة : ٤٥ .

٥ – ابن عطاء الله السكندري – التنوير في إسقاط التدبير – ص ٢١٢ .

٦ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٨ .

● يجب توفر كمال الإخلاص في الصلاة شأنها شأن كل عبـــادة مشـــروعة بل شأن كل عمل مأمور به من الله تعالى ، لأن العمل لا يصير عمـــلاً حقيقيـــاً إلا بالإخلاص ، إذ الإخلاص هو بمنزلة الروح للجسد [1] ، وإذا كانت الصـــلاة منذ البداية متضمنة إخلاص القصد والتوجه إلى الله ، فإنها حينئذٍ تكون بالقلـــب وبالقالب .

● ولئن كان المصلي منذ بداية وقوفه في الصلاة متجهاً بوجهه ناحية القبلة ، التي هي بيت الله الحرام ، فإن عليه أن يعي هذه الوجهة تماماً ، لأن مـــن لـــم يجعل الله قبلته على الحقيقة كما يقول بعضهم فسدت عليه صلاته [2] .

ومعنى هذا أن المراد من توجه القلب واستقباله للقبلة في الصلاة ، ليس هـــو الوقوف بالجسد تجاه البيت الحرام ، لأن الحق تعالى يتقدس أن تحدده الجهات ، وإنما المراد هو المعنى الباطن ، فهو الأصل وهو توجه القلب بكليته نحو فـــاطر السماوات والأرض . ومن ثم يتعين على المصلى أن ينظر حقيقةً وهو بين يدي الله أمتوجه إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات ، أو مقبـــل علـــى فاطر السماوات [3] .

والصلاة عندنا نوعان :

(الصلاة البيضاء : وهي الصلاة بحضور القلب ، وفيها يقـــف العبـــد قلبـــاً وقالباً أمام الله تعالى .

---

١ – الهجويري – كشف المحجوب – ج ٢ ص ٢٩٩ .
٢ – الشيخ عبد الرحمن السلمى – طبقات الصوفية – ص ٤٦٩ .
٣ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٦٧ .

والصلاة السوداء : وهي الصلاة من غير حضور القلب ، وفيها يقف المصلي بقالبه فقط وأما قلبه ففار إلى الدنيا) .

وبمثل هذا الفهم الروحي العميق يتحدد المقصود حقاً من استقبال القبلة في الصلاة فتوجه المصلي إليها على هذا النحو ليس عملاً آلياً يتوقف فيه عند حد الوقوف بجسده الظاهر ، وإنما يستلزم منه وقوف قلبه وامتلاء كيانه بكليته بالشعور بالألوهية [١] .

● وأصبحت تكبيرة الإحرام هي الأخرى لا تقل في دلالتها الروحية في الصلاة عن النية عندهم ، فهي تلزم المصلي بأن يعي ما يتلفظ به فيها وما يقوم به من حركات بحيث إذا رفع يديه ليؤديها فينبغي أن يرفع معها قلبه إلى الله أيضاً ، ولا يكون ذلك إلا إذا لم يكن في قلبه حقيقة إلا الله ، وبحيث يمتلي قلبه كذلك ولا يكون فيه حقيقةً شيء أكبر من الله تعالى [٢] .

● حضور القلب في الركوع والسجود بوصفهما فعلين من أفعال الصلاة هو ما يكون عليه بقلبه وجوارحه ، ففيهما يستشعر العبد بين يدي ربه في حال ركوعه وسجوده صفات العزة والكبرياء والعظمة والعلو لله وحده [٣] ، والأصل في الركوع أو القصد المراد منه حقيقةً ليس الركوع بالجسد وحده ، وإنما هو كما يقول الشعراني خضوع النفس والروح باطنا بين يدي كبرياء الله تعالى الجليل العظيم ، ولهذا فقد أمر المصلي أن يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم [٤] .

---

١ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٢٣ .

٢ – المحاسبي – فهم الصلاة – ص ٥٢ .

٣ – ابن رجب – الخشوع في الصلاة – ص ٢١ – ٢٢ .

٤ – الشعراني – أسرار أركان الإسلام – ص ٤٢ .

وتفصيل الأمر في دلالة السجود ما ينبغي أن يكون عليه عند أهل الطريقة أنه إظهار لخضوع الإنسان وانكساره لربه ، من حيث إن وضع الإنسان لوجهه في السجود على الأرض يكمن فيه معنى الذل والإنكسار ، ففي هذه اللحظة أيضاً يشاهد من أسفله علو ربه ، ولهذا فقد أمر بأن يقول في حال سجوده سبحان ربي الأعلى [١] .

بل ليس هذا فقط ، ما ينبغي أن يكون عليه المصلي في حال سجوده لله وإنما عليه أن يوقن بقلبه أن الأدب في السجود يملي عليه أن لا يكون في قلبه فعلاً شيء أقرب إليه حقيقةً من الله تعالى ، لأن أقرب ما يكون عليه العبد من ربه هو ما يكون عليه في حال السجود [٢] .

ولهذا نؤكد على أهمية الركوع والسجود لأن المريد إذا أتقن ركوعه لله تعالى فإن ذنوبه تغفر له قبل ان يرفع رأسه ، ووقتها يصبح طاهراً ومؤهلاً للتقرب إلى الله تعالى بالسجود متحققاً بقوله سبحانه ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [٣] فمن لم يتقن الركوع فليس له سجود ، ومن تقرب في السجود وصل إلى المطلوب .

- صرف القلب عن الأمور والمشاغل الدنيوية في صلاته ليتم لها الحضور القلبي لما كانت متضمنة القراءة والذكر والركوع والسجود والقيام والقعود ، فلابد أن يكون الحضور في كل هذه الحركات من ناحية .

فالعارفون الأكياس كما يقول السهروردي البغدادي – لم يرفضوا الدنيا

---

١ – المصدر السابق – ص ٤٣ .

٢ – الطوسى – اللمع – ص ٢٠٦ .

٣ – العلق : ١٩ .

إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا . إذ لما كانت الدنيا شاغلة للقلب ، رفضوها غيرة منهم على محل المناجاة [1].

وأهل الطريقة إنما يجتهدون في إقامتها على الوجه الذي يجعلها مقبولة عند الله تعالى ، ويلتفتون إلى دقائقها الباطنة بحيث تكون بالقلب لا بالقالب وحده ، وهم في هذا الشأن يزيدون عما حدده الفقهاء لما وقفوا عند أحكام الصلاة وشرائطها الظاهرة ، إذ الفقيه كما يقول الغزالي يُعنى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلا في جميع صلاته ، من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق ، إلا عند التكبيرة الأولى ، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة [2].

● أخذ الزينة عند كل مسجد : وإذا كان الحق تعالى قد أمرنا بالتزين عند الذهاب إلى المسجد لقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [3] فينبغي ألا يفهم من هذا ، أن الزينة هنا تتوقف عند حد الزينة الحسية التي تغطي ظاهر المصلي فقط ، بل المراد أيضاً : الزينة الباطنة التي تنثال آثارها على كل جوارحه الباطنة . ولئن كان اللباس الحسن هو الزينة التي أمر الله بها ، فليس هناك أفضل للمصلى من زينته لله بالعبودية ، فإنه إن كان هكذا ، كان كله لله تعالى ، وكان الله معه في كل أحواله ، فتكون زينته لربه بالعبودية وزينته تعالى له بالمعية [4] ، وحينئذ تكون هذه الصلاة هي أفضل لباس يتحلى به صاحبها

---

١ – السهروردي البغدادي– عوارف المعارف – ص ٣١٩ .

٢ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٩ .

٣ – الأعراف : الآية ٣١ .

٤ – الشيخ ابن عربي – الفتوحات المكية — السفر السابع – ص١١٥ ، والسفر الثامن ص ١٦٨ .

لقوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [1] فإنه لا تقوى فعلا أفضل من الصلاة [2] .

● عدم تأخيرها عن وقتها لأن التأخير يختلسه الشيطان من صلاة العبد ، وعن ذلك قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[3] .

● عدم الالتفات إلى الغير أثناء الصلاة .

ورويَ عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إذا قامَ الرجلُ في الصلاةِ أقبلَ اللهُ عليه بوجهِهِ فإذا التَفَتَ قال : يا ابن آدم إلى مَنْ تَلتَفت ؟ إلى مَنْ هوَ خيرٌ لكَ مني ؟ أَقبلْ إليَّ . فإذا التفتَ الثانية قالَ مثلُ ذلك ، فإذا التفتَ الثالثةَ صرفَ اللهُ تَبارك وتعالى وَجهَهُ عنه ﴾ [4] .

وعن معاذ بن جبل قال : من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له [5] .

● الصلاة على الرسول ﷺ وآله في الصلاة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[6].

---

١ – الأعراف : ٢٦ .

٢ – الشيخ ابن عربي – الفتوحات المكية – السفر السابع – ص ١١٤ .

٣ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٤٨ .

٤ – مجمع الزوائد – ج ٢ ص ٨٠ .

٥ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٤٦ .

٦ – الأحزاب : ٥٦ .

فهو سبحانه جعل من يذكر الرسول ﷺ ، كمن يذكره ﷻ ، ومن يحب الرسول فقد أحب الله تعالى تعظيماً وتشريفاً لقدر الرسول الأعظم ﷺ وتقديساً له ، فالصلوات لتقديس الرسول ﷺ ولمحبته نقول : ورد في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول للرسول ﷺ : ﴿ جعلتُ ذكركَ ذِكريَ وحُبكَ حُبيَ ﴾[1]

وورد عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرض من الله في القرآن أنزلَهُ
يكفيكم من عظيم الفخر أنكُمُ من لم يصلِ عليكم لا صلاة لَهُ

ولهذا نقول : (يجب على المريد أن يكون حاضر القلب مع الرسول ﷺ حين يؤدي الصلوات ، لأن الصلوات عبارة عن نداء روحي خاص يتوجه على أثره حضرة الرسول ﷺ إلى مواجهة قلب المصلي ، فإذا توجه ﷺ على قلبك ، فينبغي أن لا يجده مشغولاً بالدنيا ، وإلا فإنه يعرض عن المريد روحياً وقد يؤثر هذا في حاله ، فليس من الأدب أن تنادي على شخص فإذا التفت إليك تركته لتكلم غيره ، وهكذا هي الصلوات ، إنها نداء يربط قلبك بالرسول ﷺ من خلال شيخ الطريقة) .

ويرى حضرته ﷸ : (أن الصلوات على الرسول ﷺ نور على الصراط ، تنور الطريق للمريد وتيسره عليه وتقصره له ..) .

● ينبغي على المريد أن يصلي على الرسول ﷺ حين يسمع أسمه المبارك حتى وإن كان في الصلاة ، فإذا ما أدى صلوات كاملة على الرسول

---

١ - ورد في مخطوطة الترياق الفاروق في وظيفة الشيخ الزروق (شرح وظيفة أحمد الزروق) للشيخ أحمد بن قاسم البوني ورقة ١٨ أ - المتحف البريطاني لندن . رقم ١٨ .

الأعظم ﷺ عاد ليكمل صلاته من حيث توقف ، وهذا من أعظم الآداب التي أمر الله تعالى بها المسلمين وربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام عليها فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي سعيد بن المعلى قال : « كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال : أَلَم يَقُل اللهُ : ﴿ اسْتَجِيبوا للَّهِ ولِلرَّسولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ ﴾[1] »[2] .

والأمر نفسه ينطبق على بقية الأعمال والعبادات والقربات ، فسواء أكان العبد يصلي أم يقرأ القرآن أم يوعظ فعليه أن يتوقف عن ذلك حين يسمع اسم الرسول ﷺ ليصلي عليه مع الله وملائكته ثم يعود ليكمل ما كان فيه .

- على المريد أن يستحضر معنى ما يقول في صلاته لقوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا ولا عُشْرُهَا وإنما يُكتَبُ للعبدِ مِنْ صَلَاته ما عَقِلَ مِنها ﴾[3] .

- أن يعي المصلى ما يقوم به وما يتلفظ به في كل ركن من أركانها ، حتى تكون صلاته كلها مقاما حقيقياً له بين يدي الله تعالى .

ثم يحاول تفهم معنى ما يقول في الصلاة ، وهذا الأمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات

---

١ - الأنفال : ٢٤ .

٢ - صحيح البخاري - ج ٤ ص ١٦٢٣ - رقم ٤٢٠٤ .

٣ - الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه .

وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أموراً تمنع عن الفحشاء لا محالة [١] .

وإنما يحصل هذا الأمر بداية من النية وتكبيرة الإحرام ، بحيث إذا جاء وقت الصلاة ، فإن المصلي عليه أن يستحضر في قلبه النية التي ينوي بها التقرب إلى الله ﷻ ، وإنما يتحقق ذلك بإخراج ما في قلبه من كل ما سوى الله حتى لا يكون في قلبه سواه [٢] . . . وهذا لا يكون بكماله إلا بعد خروجه بكليته عن عالم الدنيا وشواغلها حتى يدخل في العالم القدسي العلوي ، فإذا كان كذلك فإن قلبه لا يكون فيه ما يشغله عن كمال الصلاة [٣] . . . ومن هذا الوجه بالذات صارت النية بذلك المفهوم الذوقي إشارة لطيفة عند الصوفية يراد بها انعقاد القلب في ذلك التوجه إلى الله [٤] .

● أن يشعر المريد بافتقاره الشديد إلى الله تعالى في الصلاة فمن حرم ذلك انقطعت صلته . يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني : « من كان فيه صفتي الغناء والعز لا يمكن من الدخول لحضرة الصلاة أبداً ، فما تقربنا إلى الحق حينئذ إلا بتخلقنا بما ليس من صفة ، فانظر ما أعجب هذا الأمر في حضرة القرب ، يطرد منها من تخلق بصفات ملكها سبحانه وتعالى التي لم يأذن في التخلق بها »[٥] .

---

١ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين– ج٢ ص ١٤٧ .

٢ – الشعراني – أسرار أركان الإسلام – ص ٤١ .

٣ – المصدر نفسه –ص ٤١– ٤٢ .

٤ – الشيخ عبد الكريم الجيلي : الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر – ج ٢ ص ٨٧ .

٥ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان – ص ٣١ – ٣٢ .

● الإخلاص في الصلاة من حيث صحة النية وحسن التوجه لأداء حق العبودية اتجاه الخالق ، يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : « ليست الصلاة قيامك وقعودك ، إنما الصلاة إخلاصك »[1] .

ويقول الشيخ الجنيد البغدادي ﷺ : « لا يكون همك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالاتصال بمن لا وسيلة إليه إلا به »[2] .

فينبغي أن تكون الصلاة خالصة لوجهه تعالى لا يشاركه فيه شيء ، يقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني ﷺ : « قلت : يا رب أي صلاة أقرب إليك ؟ قال : الصلاة التي ليس فيها سواي والمصلي عنها غائب »[3] .

● أداء الصلاة بكامل حركاتها من تكبير وقيام وركوع وسجود ولا يضيع شيئا منها لان كل حركة يؤديها العبد في الصلاة تثمر في باطن المريد سراً إلاهياً يعمر باطنه .

يقول الشيخ الحكيم الترمذي : « أفعال الصلاة مختلفة على اختلاف الأحوال التي جاءت من العبد :

فبالوقوف : يخرج من الإباق ، لأنه لما انتشرت جوارحه نقصت تلك العبودية وأبق من ربه ، فإذا وقف بين يديه فقد جمعها من الانتشار ووقف للعبودية فخرج من الإباق .

وبالتوجه إلى القبلة : يخرج من التولي والإعراض .

---

١ – د . عبد الرحمن الشرقاوي – علي إمام المتقين – ج١ ص ٥١ .

٢ – الشيخ أبو بكر الكلاباذي – التعرف لمذهب أهل التصوف – ص ١٤٢ .

٣ – الشيخ عبد القادر الكيلاني – الفيوضات الربانية – ص ١٠ .

وبالتكبير : يخرج من الكبر .

وبالثناء : يخرج من الغفلة .

وبالتلاوة : يجدد تسليماً للنفس وقبولاً للعهد .

وبالركوع : يخرج من الجفاء .

وبالسجود : يخرج من الذنب .

وبالانتصاب للتشهد : يخرج من الخسران .

وبالسلام : يخرج من الخطر العظيم »[1] .

● على المريد أن يتطوع ما أمكنه بالسنن والنوافل لما فيها من زيادة في الترقي ، كما أن لصلاة التطوع حكم عظيمة وأسرار كثيرة منها : زيادة الحسنات ورفعة الدرجات ، ومنها أنها تكون جبراً لما قد يحصل في الفرائض المكتوبة من النقص والخلل . فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ ﴾[2] .

---

١ – الحكيم الترمذي – الصلاة ومقاصدها – ص ١٢ .

٢ – رواه أبو داود والترمذي وغيرهم وهو صحيح .

آداب المريد في الصيام

الصوم شرعاً : هو الإمساك عن المـــأكول والمشـــروب والشـــهوة ، لكـــن الاقتصار على هذا الصوم تجريد لحقيقة الصوم بوصفه عبادة جامعة للجـــوارح الظاهرة والباطنة معاً ، من حيث إن الحكمة في الصوم أصلاً هي كف الجوارح الظاهرة والباطنة عن المنهيات الموجبة للعذاب في الدار الآخرة [١].

فالمراد بالصوم إذاً ليس هو الإمساك عن مطالب الجسد فقط فأنَّ ذلـــك هـــو صوم الظاهر ولكن لابد معه من صوم الباطن ، ولأجل هذا لابد مـــن تحقيقـــه بالوجهين معاً ، وبحيث يكون الصوم ضبطاً للظاهر والباطن معـــاً . وكمـــا أن الأول الظاهر يحصل بكف الجسد وإمساكه عن الطعام ، فكذلك يكـــون الثـــاني الباطن بكف الجوارح عن الآثام [٢] ، ويتحقق صوم الجوارح عن تلـــك الآثـــام الظاهرة والباطنة حين يحفظ العبد لكل جارحة من هذه الجوارح وظيفتها التـــي من أجلها خلقت له هذه الجوارح من قبل الحق تعـــالى فـــي طاعتـــه والتخلـــق بأوصافه ، ومن هذه الجهة :

فصوم العين : في أن يحفظها صاحبها من أن تنظر إلى الحرام والشهوة .

وصوم الأذن : أن يحفظها الإنسان من الاستماع إلى اللهو والغيبة .

وصوم اللسان : أن يمنعه صاحبه من التلفظ باللغو والآفة في القول .

وصوم الجسد : أيضاً أن يمنعه صاحبه من متابعة الدنيا بكليته .

---

١ – الشعراني – أسرار أركان الإسلام – ص ٥٥ .

٢ – السهروردي البغدادي – عوارف المعارف – ص ٣٣٥ .

وإذا ما كانت كل هذه الجوارح مؤدية لمثل هـذا الصـوم ، فهـو الصـوم الحقيقي [1].

للصوم أيضاً دلالته الروحية العميقة ، والتي تجعله عبادة من أجل العبادات . ففي إمساك النفس عن المأكول والمشروب وضروب الشهوة ، عون لهـا فـي التحرر من هذه الشهوات ، ولو لم يكن الإنسان واعياً بالقصد من هـذه الحقيقـة بالذات لاسترقته الأشياء ، واستعبدته تماماً ، ولهذا فـرض الله الصـوم كسـراً للشهوات ، وقطعاً لأسباب الإسترقاق على حد قول الشعراني [2] .

وحين يصبح الصوم في جوهره بهذا المعنى الخير بالذات فإنه يحقق لصاحبه التحرر من عبودية الأشياء المادية ، سواء كانت من جنس المأكول أو المشروب أو بخلاف الاثنين معا . وبهذا المفهوم الذوقي يتحقق الصائم فعلاً بالحرية ويحقق الغاية التي خلق من أجلها ، لأن الأصل أن يكون مالكا للأشياء في أصل خلقته ، لا أن تكون الأشياء مالكة له ، لأنه خليفة الله في ملكه [3].

ومن آداب المريد في الصيام ما يلي :

- ضبط الظاهر والباطن وكفّ الجوارح عن الآثام ، كمنـع الـنفس عـن الطعام، ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام .
- أن يقلل الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطـر ، وإلا فـإنَّ جمـع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوَّت .

---

١ – الهجويري – كشف المحجوب ج ٢ ص ٥٦٥ ، انظر : الغزالي في الإحياء –ج ١ ص ٢٣٧ .

٢ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – أسرار أركان الإسلام – ص ٥٦ .

٣ – المصدر نفسه – ص٥٦ – ٥٧ .

ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها من الاتساع ، وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أَنَّ الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة ، والنفس من طبعها أَنها إذا قُهِرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير بالأكل والنوم ضرورة والقول والفعل ضرورة .

وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ، ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها ، إلا عبدٌ يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه [1] .

● يتسحَّر عملا بالسنة ، وهو أدعى إلى إمضاء الصوم لمعنيين :

أحدهما : عود بركة السنة عليه .

والثاني : التقوية بالطعام على الصيام ، وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً ﴾ [2] .

● منع الجوارح الظاهرة عن الطعام وكف الجوارح الباطنة من الآثام ، قال ﷺ : ﴿ رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ﴾ [3] .

وهو الصائم الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ، قال سفيان الثوري (رحمه الله) : من اغتاب فسد صومه ، وعن مجاهد : خصلتان تفسدان الصوم : الغيبة والكذب ، وقال الشيخ أبو طالب

---

١ – السهروردي – عوارف المعارف – ص ١٧٢ .

٢ – مسند أحمد – ج ٢ ص ٤٧٧ – رقم ١٠١٨٨ .

٣ – السنن الكبرى – ج ٢ ص ٢٣٩ – رقم ٣٢٤٩ .

المكي (رحمه الله) : قَرَنَ الله الاستماع إلى الباطل ، والقــول بــالإثم بأكــل الحرام فقال : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [١] .

● ومن أدب المريد : أنه إذا افطر وتناول الطعام ربما يجد باطنــه متغيــراً عن هيئته ، ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغيــر بإذهاب التغيير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها ، أو أذكــارٍ يؤديهــا ، فقــد ورد عن النبي ﷺ : ﴿ أذيبوا طَعامكمْ بِذكرِ الله والصلاة ﴾ [٢] .

● أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجــاء إذ لــيس يدري أَيقْبلُ صومه فهو من المقربين أو يرد فهو من الممقوتين ؟ وليكن كــذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها، فقد روي عن الحسن البصري أنه مرَّ بقوم وهــم يضحكون فقال : إن الله ﷻ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يســتبقون فيــه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجــب للضــاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون .

---

١ – المائدة : ٤٢

٢ – المعجم الأوسط للطبراني – ج ١١ ص ١٨٣ – رقم ٥١٠٩ .

آداب المريد في الزكاة

بما ان الزكاة ركن عظيم من أركان الإسلام فعلى المريد ان يعلم آدابها ومهماتها لينال به ثمرة مراد الله من هذا الركن « فإذا كانت الزكاة شرعاً أو بمفهومها الظاهر: اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة ، فإن الزكاة بمفهومها الباطن : هي أداء شكر النعمة من جنس النعمة . وإذا كانت الزكاة بمعناها الأول (الظاهر) ذات قدر معلوم من المال إذا بلغ حداً من الزيادة ، فإن الزكاة بمعناها الآخر (الباطن) لا حد لها على الإطلاق لأن نعمة الحق تعالى على عبده لا حد لها » [1] .

ومن هنا فقد صار للبدن وأعضائه زكاة . وإنما تحصل زكاة البدن بأن يصرفه صاحبه فيما أمر الله به ، وبأن يحفظ العبد جوارحه بحيث تكون مستغرقة في خدمة الله وطاعته ومشغولة بعبادته ، وبحيث لا تميل إلى اللهو أو اللعب ، فإذا كانت كذلك فقد حقق صاحبها زكاتها أو طهارتها [2] .

ومن آداب الزكاة أن يعلم المريد الحكمة من أدائها من حيث هي إخراج نصيب من ماله للفقراء والمحرومين ، لأن الله جعل لهم حقوقاً في أموال الأغنياء هي مفروضة عليهم ، ليس لأصحاب الأموال فيها شيء ، لأن المال في حقيقته مال الله ، ولو كان مال الزكاة ملكاً لصاحبه لما وقع الوعيد لمانعها [3]

---

١ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٣٧ .

٢ – الهجويري – كشف المحجوب – ج ٢ ص ٥٥٧ .

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – أسرار أركان الإسلام – ص ٤٨ .

لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [1] .

وقد فصل الإمام الغزالي ما على مريد طريق الآخرة بزكاته من وظائف وهي :

الوظيفة الأولى: فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها جُعِلت من مباني الإسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان ولذلك قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [2] والناس في فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسموا إلى أقسام :

أفضلهم من صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع . ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ما أبقيتَ لأهلِك ﴾ فقال : مثله ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه ﴿ ما أبقيتَ لأهلِك ﴾ قال : الله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ بينكما ما بيَنَ كلمتيكما ﴾ [3] .

فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

١ – التوبة : الآية ٣٤ .

٢ – التوبة : ١١١ .

٣ – أورده الغزالي في الإحياء – ج ١ ص ١٩٢ .

والقسم الثاني: درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر ، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة .

القسم الثالث : الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب .

الوظيفة الثانية: في وقت الأداء ، ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلماً بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب.

الوظيفة الثالثة : الإسرار ، فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ ﴿ أفضلُ الصدقةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ إلى فقيرٍ في سر ﴾ [1] وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر ، منها إخفاء الصدقة ، وقد روي أيضاً مسنداً .

وقال ﷺ ﴿ إنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عملاً في السرِ فَيكتبه الله له سراً فإن أظهرهُ نقل من السر وكتب في العلانية فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء ﴾ [2] ، وفي الحديث المشهور ﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ﴾ [3] .

---

١ – تخريج أحاديث الإحياء – ج ٢ ص ١٦١، رقم ٦٦١ – " أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر "أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي ذر ، ولأبي داود من حديث أبي هريرة " أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل " .

٢ – أخرجه الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف .

٣ – صحيح مسلم – ج٢ ص ٧١٥ – ٣٠ باب فضل إخفاء الصدقة رقم ١٠٣١ .

وفي الخبر ﴿ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ ﴾ [2]" وفائدة الإخفاء : الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ : ﴿ لا يَقبلُ اللهُ مِنْ مُسمعٍ ولا مُراءٍ ولا مَنانٍ ﴾ [3] والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه " وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم. وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه : كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة. ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى؛ إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء. ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال ، وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة .

---

١ – أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة " **إن الصدقة لتطفيء غضب الرب** " .

٢ – البقرة : ٢٧١ .

٣ – أورده الغزالي في الإحياء – ج١ ص ١٩٤ .

الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء ... فقد قال الله عز وجل : ﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [1] وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان ، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير ، فإنه ربما يتأذى بأن يُرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه. فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محظور، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهي عنه : فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها. وبمثل هذا المعنى قال ﷺ : ﴿ مَنْ ألقى جلباب الحياءِ فلا غيبةَ لهُ ﴾ [2] وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾ [3] ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص " فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل. ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال .

---

١ – البقرة : ٢٧١ .

٢ – أخرجه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس .

٣ – الرعد : ٢٢ .

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى : ﴿ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى ﴾ [1] واختلفوا في حقيقة المن والأذى :

فقيل : المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها

وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر.

وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة.

وقد قال ﷺ : ﴿ لا يقبلُ الله صدقة منَّانٍ ﴾ [2] وعندي أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته: ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو يقبله لبقي مرتهناً به فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل. قال رسول الله ﷺ إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل " فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل.

الوظيفة السادسة : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً ﴾ [3]

---

١ - البقرة : ٢٦٤

٢ - أورده الغزالي في الإحياء – ج١ ص ١٩٥ .

٣ - التوبة : ٢٥

ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل ، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل.

الوظيفة السابعة : أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً. وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكــون ملكاً له مطلقاً فلا يقع الموقع. وفي حديث أبان عن أنس بن مالك ﴿ طُــوبَى لِعَبْدٍ أنفقَ مِنْ مالٍ اكتسبهُ مِنْ غيرِ مَعصيَّةٍ ﴾ [1] وإذا لم يكن المخرج مــن جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبــده أو لأهلــه فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ، ولو فعل هذا بضــيفه وقــدم إليــه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صــدره ، هــذا إن كــان نظــره إلــى الله عز وجل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه ، وليس له من ماله إلا مــا تصــدق بــه فــأبقى أو أكــل فأفنى ، والذي يأكله قضاء وطر في الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــواْ أَنفِقُــواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيــثَ مِنْــهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُــواْ فِيــهِ ﴾ [2] أي لا تأخــذوه إلا مــع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكــم ، وفــي الخبــر: ﴿ سبق درهم مائة ألف ﴾ [3] .

---

١ – أخرجه ابن عدي والبزار

٢ – البقرة : ٢٦٧.

٣ – صحيح ابن حبان – ج ٨ ص ١٣٥– رقم ٣٣٤٧ .

وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصــدر ذلــك عــن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلــك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه.

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصــدقة ولا يكتفــى بــأن يكون من عموم الأصناف الثمانية فإن في عمومهم خصوص صــفات فليــراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : -

الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال ﷺ : ﴿ **لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي** ﴾ [(١)] . وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاً في طاعته بإعانتك إياه ، وقال ﷺ ﴿ **أطعِموا طَعامكُم الأَتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين** ﴾ [(٢)] وفي لفظ آخر ﴿ **أضف بطعامِكَ مَنْ تُحبهُ في الله تعالى** ﴾ [(٣)] .

وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل. فقال: لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم ، فلأن أرد همة واحد إلى الله ﷻ أحب إلي من أن أعطي ألفاً ممن همته الدنيا، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه ، وقال : هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا .

---

١ - أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ (**لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**) .

٢ - أخرجه ابن المبارك في البر والصلة من حديث ابي سعيد الخدري .

٣ - أخرجه ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك .

الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات إذا صحَّت فيه النية.

الصفة الثالثة : أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد . وتوحيده أنـه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أكثر العباد شكراً لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منـه. وفـي وصية لقمان لابنه: لا تجعل بينك وبين الله منعماً واعدد نعمـة غيـره عليـك مغرماً.

الصفة الرابعة: أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لا يكثـر البـث والشـكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْـرِفُهُم بِسِـيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ [1]

أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهـل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إلـيهم أضـعاف مـا يصـرف إلـى المجاهرين بالسؤال.

الصفة الخامسة : أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله ﷻ ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ [2] أي حبسوا في طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب

١ – البقرة : ٢٧٣ .

٢ – البقرة : ٢٧٣ .

لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الأطراف .

فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم – العشرة فما فوقها – وكان ﷺ يعطي العطاء على مقدار العيلة ، وسأل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال .

الصفة السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى. قال علي كرم الله وجهه : لأن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهماً ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة. والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب [1] .
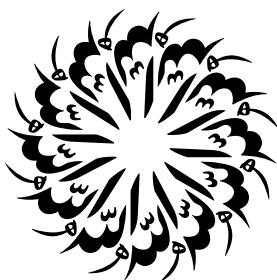
١ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ١٩٨ .

آداب المريد في الحج

لم يخل الحج عند الصوفية من تنوع دلالاته الروحية والخلقية منذ بـدء رحلة السفر لأداء هذه الفريضة . فينبغي على العبد أن يعي حقيقته من حيث هو سفر إلى الله بقلبه لا بقالبه فقط منذ لحظة الخروج من البلد الذي يقيم فيه . فهو ليس متوجها إلى موضع البيت الحرام ، وإنما إلى رب البيت أصلا والسـفر الأخير – هو سفر القلب والباطن ، والأول هو سفر البـدن وجوارحـه أو سـفر الظاهر ومن ثم لابد أن يعلم العبد في سفره أنه لا يضاهي أسفار الـدنيا حقيقـة ، ولن يكون هذا إلا بأن يحضر قلبه منذ البداية فيه ، وأنه توجه إلى ملك الملوك(١) .

فإذا بدأ العبد رحلة السفر ، فعليه أن يفطن إلى كل ما يفعله منذ اللحظة التي يصل فيها إلى المكان الذي يحرم فيه ، وهو :

● الميقات الذي حدَّده الشرع ليحرم منه أهل جهة معينة . فإذا بلغ العبد هذا المكان فلابد من التطهير والغسل للإحرام . ولكن الغسل هنا لا يكون للأبدان وحدها بالماء ، بل لابد معه من غسل القلوب بالتوبة (٢) ، ولا عجب بعد ذلك كله ، حين نجدهم يؤكدون على هذه المضامين الروحية والخلقية والتي ينبغي أن تكون فيضا لهم من تلك الفريضة في كل أحوالهم مع الحق والخلق معا. ومن ثم فقد حق لأحدهم أن يقول : عجبت ممن يقطع البوادي والقفار والمفاوز حتى يصل إلى بيته وحرمه لأن فيه آثار مولاه ، كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه أن فيه آثار مولاه !! (٣) .

---

١ – المصدر السابق – ج ١ ص ٣٦٥ .

٢ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٨ .

٣ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٥٠ – ٥٢ .

● التزيّي بزي الإحرام ، فإذا تجردوا من لبس المخيط ، فلابد لهم كذلك من التجرد أو التحرر من كل ما يشغلهم كلية عن السير إلى الله بوصفه المقصود [1] .

● التجرد من لبس المخيط هنا هو التجرد الظاهر ، صحيح أنه مطلوب ولكن لابد معه من باطن مقصود ، ومن ثم فإذا نزع العبد عن بدنه لبس المخيط فيلزمه أن ينزع من سريرته الغل والحسد ، وأن يخلي قلبه عن الهوى ومحبة الدنيا بحيث لا يترك له ذلك بقية في قلبه ، ولا يعود بعد ذلك إليه [2] .

● التلبية لا تكون بمجرد النطق بها باللسان وحده ، وإنما باللسان والقلب معاً ، فليس يكفي أن يقول العبد فيها لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك . فإنها لو كانت كذلك دون أن يقع أثرها في القلب ، لا نتفى القصد من هذا النداء ومن ثم فإذا قاموا – الصوفية – إلى مثل هذه التلبية ، فإنهم يحرصون على أن تكون بجوارهم الظاهرة والباطنة معا ، لأن العلم على حقيقته يعكس صورة القلب لا اللسان [3] .

من أجل ذلك إذا حققوا هذه التلبية بألسنتهم ، فقد ألزموا أنفسهم ألا يجيبوا بعدها دواعي النفس والشيطان والهوى ، لأن مجرد متابعة هذه العلائق يخالف ما أقروا به من قبل في حال التلبية ، وأقروا فيه لله تعالى بالإلوهية ، وأنه لا معبود لهم سواه [4] وفي هذا إفراد لله بالعبودية ، ولا يكون هذا

---

١ – المصدر السابق – ص ٥١ .

٢ – الميهمي – أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد – ص ٣١٩ .

٣ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٨ .

٤ – الشيخ عبد الغني النابلسي – حقائق الإسلام وأسراره – ص ١٩٤ .

إلا بكمال الإيمان ، فإن منازله توجب أن يعم جميع أعمال العبد بأعضائه الظاهرة والباطنة [1].

● الطواف حول البيت وهو ركن من أركان الحج لا يكفي فيه أن يكون بالجسد وما يشمله من الجوارح الظاهرة ، وإنما الكمال أن يكون بالبدن والقلب معاً ، بل إن اللحظة التي ينهضون منها إلى تحقيق هذا الطواف لا تنفك عن هذا المعنى الذوقي ، فكما ينظرون إلى البيت بأعين رؤوسهم ، ينظرون كذلك بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى هذا البيت ، وهم إذا طافوا حول البيت بأبدانهم يجتهدون في الوقت نفسه الطواف بقلوبهم [2] .

وكما يلزم الحضور والخشوع بالقلب مع الجوارح لتؤتي الصلاة أكلها ، فكذلك يلزم حضور القلب في الطواف ، ومن أجل ذلك لابد فيه أيضاً من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة فإذا كان الطواف بهذا المفهوم الذوقي القلبي فحينئذ يكون هو الطواف المقصود لأن الطواف الشريف هو الطواف بحضرة الربوبية على حد قول الإمام الغزالي [3] .

فَهَمُّ المريدين هو التحقق بهذا المفهوم الذوقي في الطواف ، ولم لا وهم الذين نذروا أنفسهم بكليتها لله تعالى وحده ، ومن ثم فليس غريباً أن يقول واحد منهم :

لست من المحبين إن لم ... أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي أخاله السير فيه ... وهو ركني إذا أردت استلاما [4].

---

١ – المصدر السابق – ص ٢١٤ .

٢ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٨ .

٣ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ٢٧٠ .

٤ – الطوسي– اللمع – ص ٤٤٣ .

● فإذا جاء وقت السعي بين الصفا والمروة ، لم يتوقفوا في سعيهم عند سعي الأبدان والأقدام ، وإنما جمعوا إليه سعي القلب والأرواح ، وإذا كان الأول عمل الظاهر الذي لابد منه ، فإن عمل الباطن لا يقل عنه ، ومن ثم فقد حق عليهم من سعى يحققون به صفاء القلوب من الكدورات البشرية والآفات الإنسانية [1] بل إن أدب السعي الأخير ، يقتضي منهم أن يسرعوا في مشيهم وقصدهم ، امتثالاً منهم ورغبةً للفرار من عدوهم ، وهروبا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم [2] .

وفضلاً عن هذا فإن أدب السعي بين الصفا والمروة ، يلزمهم أن يستحضروا بقلوبهم مشهدهم يوم الحساب ، وضرورة السعي بهمة في طاعة الله طلباً للغفران والنجاة من العذاب ، ولأجل ذلك ، ينبغي أن يتذكر العبد ، كما يقول الغزالي ، عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات يوم القيامة ، وأن عليه ان يمثل الصفا حينئذ بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وعليه أن يتذكر أيضاً تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان ، متردداً بين العذاب والغفران [3] .

● والوقوف بعرفة من أهم أركان الحج ، بعد الطواف بالكعبة ولابد من تحقيقه كاملاً ولهذا فالوقوف بعرفات ليس محدوداً بمعناهُ الظاهر بل يجمعون عليه معناه الباطن ، فيكون حينئذٍ وقفةً بالقلب لا وقوفاً بالبدن وأعضائه . ويلزمهم الأدب فيه أن يعظموا ويستشعروا بين يدي من يقفون ، ولا يتأتى لهم

---

١ – القشيري – لطائف الإشارات – المجلد الأول – ص ٢٦٤ .

٢ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٩ .

٣ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ٢٧١ .

الكمال في وقوفهم إلا بوقفة القلب ، وليست الأخيرة إلا بعدم الإعراض عنه بعد وقوفهم بين يديه تعالى [1] .

فالوقوف بعرفات إذاً وقفة تليق بحضرة الحق تعالى ولا يمكن للعبد ان يحقق هذه الوقفة إلا بالتبري من حوله وقوته ، فإذا كان كذلك بقلبه وكليته ، فإن الحق تعالى يتعرف عليه في وقوفه بين يديه بمنته وحوله وقوته [2] .

● في رمي الجمرات ، فرمي الحصيات ومعها جمرات الهوى والنفس والحظوظ والأماني ، إن الرمي الأول هو الذي يفعلونه امتثالاً لما يحدده الشرع لأداء الفريضة ، والثاني يوجبه الكمال في العبادة أو الفريضة . وكما أن الأول لابد منه ، فكذلك لابد من الثاني ، ولا يتأتى الأخير بالبدن ، بل بالقلب وتجرده عن كل علاقة تربطه بالدنيا [3] .

بل إن الأدب الذي يحرصون عليه في إتيان هذه الأركان ، ينبغي أن يصاحبهم في كل أحوالهم ، فإذا رموا الجمرات فإن عليهم أن يرموا معها ملاحظة أعمالهم ، ومشاهدة أفعالهم [4] .

● وذبح الهدي لا يخلو أيضاً عند الصوفية من مضمونه الروحي والخلقي . فهو وإن كان يتضمن الامتثال لأمر الشرع ، والتقرب بهذا الهدي إلى الله ، إلا ان ذلك ليس يكفي طلبا للكمال في التقرب إليه والإنابة إليه وحده ، ولأجل هذا فإن الذبح الحقيقي لا يكون بذبح الشاة ، فذلك صنيع العوام ، وإنما لابد معه من ذبح أهواء النفس وأمانيها وحظوظها .

---

١ – الطوسي – اللمع ص ٢٢٨ .

٢ – القشيري – لطائف الإشارات – المجلد الأول – ص ٢٦٤ .

٣ – المصدر نفسه – ص ٢٦٤ .

٤ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٩ .

وإذا كان الذبح الأول وهو ذبح الهدي المأمور به شرعاً ، فإن الذبح الثاني ذبح هوى النفس هو الكمال فيما هو مأمور به في العبادة . ومن ثم فإذا ذبح العبد الشاة ، يلزمه أن يذبح معها عندهم هواه بالكلية تقرباً بصنيعه هذا إلى الحق تعالى [١] .

بل إن الصوفية إمعاناً في التأكيد منهم على أمر هذا المضمون الخلقي والروحي الذي يرونه في فعل الذبح ، يؤكدون على أن الأدب في تحقيقه يلزمهم أن يقدموا على ذبح نفوسهم قبل ذبح ذبيحتهم طلباً للكمال في الوصول إلى الحق تعالى [٢] .

ومن هنا فهم إذا رجعوا إلى طواف الزيارة كما يقولون فمن الأدب ألا يتعلقوا بغيره ، بل إن العبودية الكاملة ، والتوحيد الخالص يلزمهم ألا يلوذوا بعد ذلك بأحد من خلقه [٣] .

بهذا المفهوم الذوقي تحصل الفائدة الروحية للعبد في أدائه لتلك الفريضة وتعم فائدتها عليه في علاقته بالحق والخلق معاً . وإنما يتحقق هذا المفهوم الأخير في اللحظة التي يتحلل فيها العبد من الإحرام ، إذ ينبغي أن يظل هذا الإحرام ملازماً له في قلبه ، بحيث يكون كما خرج من بيت نفسه قاصداً بيت الله ، فينبغي أن يخرج من بيت ربه إلى ربه تعالى [٤] ، ومن هذا الوجه يصبح الحج فعلاً عبادةً تهدف إلى تهذيب الأخلاق ، وإلا صارت مجرد تعب ونصب لا طائل من روائه [٥] .

---

١ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ١ ص ٢٧١ .

٢ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٥٧ .

٣ – الطوسي – اللمع – ص ٢٢٩ .

٤ – القشيري – لطائف الإشارات – ص ٢٦٤ .

٥ – الدكتور أحمد محمود الجزار – قضايا وشخصيات صوفية – ص ٥٨ .

أدب المريد مع حضرة النبي ﷺ

إن من اجلّ الآداب وأعظمها مرتبة ورفعة عند الله تعالى هـي الأدب مع رسوله المصطفى ﷺ وهذا الأدب لا يرقى عليه أدب آخر أو يوازيه مرتبة فما ينفع احد عظمة العمل وطول السهر وكثرة السجود ما لم يصحبه أدب مع الحبيب المصطفى ﷺ لأنه يعني الأدب مع الله ويعني الصدق والإخلاص في كل طاعة يقدمها بين يدي الله تعالى . ولقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم أعظم الناس أدباً معه ﷺ ، ومن الآداب مع الحضرة المحمدية المطهرة :

- ان لا يذكر اسمه الشريف إلا مع مصاحبة لفظ السيادة في جميع المواطن غير تلاوة وآذان ، ومعلوم أن تعظيم النبي ﷺ مفروض على الأمة وذكر اسمه الشريف بغير لفظ السيادة منافٍ للتعظيم وفيه من إساءة الأدب وقلة الحياء ما لا يخفى على كل ذي نور [1].
- الصلاة عليه كلما سمع لفظ اسمه قريباً او بعيداً لقوله ﷺ : ﴿ الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ﴾ [2].
- ان لا يقال ليد النبي ﷺ يساراً وإنما يقولون اليمين الأول واليمين الثاني أو يمين وجهه ويمين خلفه [3].

---

١ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ورقة ٢٤ .

٢ – سنن الترمذي –رقم ٣٤٦٩ – بَاب قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ .

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٢٤ .

● ومن الآداب : محبة عترة رسول الله ﷺ ، وكان الشيخ علي الخــواص رحمه الله يقول : من حق الشرفاء علينا أن نفديهم بأرواحنا وأن نصطنع الأيدي معهم لمكانهم من رسول الله ﷺ [1].

● من آدابهم : إذا كانوا يقرأون القرآن الكريم أو الحديث الشــريف وأرادوا أن يكلموا إنساناً في حاجة فلا يكلمونه حتى يستأذنوا الله تعــالى ورســوله ﷺ بقلبهم ولسانهم أن يكلموا ذلك الإنسان ثم إن غفلوا عن الإستئذان وكلمــوا أحــداً استغفروا الله تعالى حتى يلقي تعالى في قلوبهم أنه قبل استغفارهم وقد وقع للشيخ أفضل الدين أنه كلم إنساناً وهو يقرأ في القرآن الكريم قبل أن يستأذن فاســتغفر الله ألف مرة ووقع له أيضاً أنه كلم إنساناً وهو يقرأ في الحديث قبل أن يســتأذن النبي ﷺ فاستغفر الله تعالى سبعين مرة [2].

---

١ - المصدر السابق – ص ٢٧ .

٢ - المصدر نفسه – ص٣٠ .

زيارة المسجد النبوي الشريف سُنة ثابتة مستحبة ليس لها وقت محـــدد مــن السنة ولا ارتباط لها بالحج ، وليست من مكملاته أو مناسكه ، فمن حـــج ولــم يتيسر له الذهاب إلى المسجد النبوي فحجه تام وصحيح .

وهي كغيرها من الأعمال التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى ، لابـــدّ أن تكــون للزيارة سنن وآداب ، ينبغي التزامها، والعمل بمقتضاها والحذر من مجاوزتهـــا وإغفالها لما قد يجره ذلك عن خروج من السنن أحياناً، ومجاوزة للآداب أحيانــاً أخرى ، وان ترك زيارة المسجد النبــوي الشـــريف يعتبـــر جفـــاءاً للحبيـــب المصطفى ﷺ لما روي أنَّ بلالاً وهو بالشام رأى في منامـــه رســـول الله ﷺ وهو يقول له : ﴿ ما هذه الجفوة يا بلال ! أما آن لك أن تزورني يا بلال ؟ ﴾

فانتبه حزيناً وجلاً، فركب راحلته وقصد المدينة ، فـــأتى ضـــريح رســـول الله ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهه عليه. فأقبل الحسن والحسـين عليهمـــا السلام فجعل يضمّهما ويقبّلهما. فقالا له: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ ، وكان بلال قد ترك الأذان بعد وفاة رســـول الله ، فاســـتجاب لهما ، فعلا سطح المسجد ، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه. فلما أن قال : « الله أكبر، الله أكبر» ارتجت المدينة.. فلما قـــال : « أشـــهد أن لا إلـــه إلاّ الله » ، ازدادت رجّتها بأهلها ، فلما أن قال : « أشهد أنّ محمّداً رســـول الله » خرجـــت حتى العواتق من خدورهن ، وقالوا : أبُعِثَ رسول الله ؟! فما رئي يـــوم أكثـــر باكياً وباكيةً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم [1] .

---

١ – رواه السمهودي في وفاء الوفا ، وورد في شفاء السقام في زيارة خير الأنام – الباب الثالث .

وروى الحاكم والذهبي خبر زيارة أبي أيوب الاَنصاري مقام رسول الله ﷺ أيام ولاية مروان على المدينة : إذ أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته، ثمَّ قال : هل تدري ما تصنع ؟ ثم أقبل عليه ، فإذا أبو أيوب الاَنصاري ، فقال : نعم ، إنّي لم آتِ الحَجَر ، إنّما جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحَجَر، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ ﴾ (١).

اما التابعي محمد ابن المنكدر فكان يجلس مع أصحابه في المسجد النبوي الشريف ، فكان يقوم ويضع خدّه على مقام النبي ﷺ ، ثمَّ يقول : إنّه ليصيبني خطرة ، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرّغ فيه ويضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّي رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع ، يعني في النوم .

ولزيارة المسجد النبوي الشريف آداب هذا موجزها :

● ينوي الزائر بسفره إلى المدينة المنورة زيارة المسجد النبوي الشريف والصلاة فيه وزيارة الحضرة المحمدية المطهرة .

● إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أو حين تدخلها .

● « إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده ... فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، غاضا طرفه ممتلئ القلب بالإجلال لرسول الله ﷺ فيقول بصوت خفيض : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام

---

١ - المستدرك على الصحيحين - ج ٤ ص ٥٦٠ .

عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا خير الخلق أجمعين ، وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، ولا ينبغي أن يخلي موقفه ذلك من الصلاة عليه ﷺ .

● ثم يتوسل بالمصطفى ﷺ ويتشفع به في المغفرة ، فيقول : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك أو يقول : اللهم إنّك قلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[1] وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي ، يا رسول الله إنّي أتوجه بك إلى الله ليغفر ذنوبي »[2] .

● ثمَّ يأتي الروضة بين الضريح والمنبر فيصلي ركعتين تحية المسجد .

● يستحب للزائر كذلك الصلاة في مسجد قباء وزيارة البقيع وشهداء أحد[3]

● وإذا كنت تريد الدعاء أو لك حاجة فيجوز استقبال القبلة أو تستقبل المقام الشريف أفضل ، فقد روي عن ابن عمر : أنّ من السنّة أن يستقبل المقام المكرّم[4] ويجعل ظهره للقبلة ، ثم يرفع يديه ويسأل حاجته .

وقال أبو جعفر المنصور لمالك في المسجد النبوي الشريف : يا أبا عبد الله أستقبل البيت وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو ؟ .

---

١ – النساء : ٦٤ .

٢ – السمهودي – وفا الوفا – ج٤ ص ١٣٦٢ .

٣ – جمع وإعداد بعض طلبة العلم – المختصر في شرح أركان الإسلام – ص ١٨٣ – ١٨٤ .

٤ – قاله ابن همام نقلاً عن أبي حنيفة .

فقال له مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى إذ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[1] .. [2] .

● عدم رفع الصوت في المسجد النبوي لأنه سوء أدب عظيم في حضرة الرسول ﷺ ، روي في الشفاء للقاضي عياض : ناظر أبو جعفر المنصور الإمام مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ حين قال له : لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدّبَ قوماً فقال : ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ، ومدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، وذم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [3] ، وحرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر المنصور [4].

---

١ – النساء : ٦٤ .

٢ – تقي الدين السبكي – شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام– ص٦٩ ، ورواه القسطلاني في المواهب اللدنية والهيتمي في الجوهر المنظم .

٣ – الحجرات : ٢ ، ٣ ، ٤ .

٤ – القاضي عياض – الشفا في التعريف بحقوق المصطفى– باب الزيارة .

آداب المريد مع الشيخ

في الطريقة الكسنزانية

آداب المُريد مع شيخ الطريقة من أهم الآداب ، ولعلها الأصل الذي تتفرع منه بقية الآداب ، ولأهل الطريقة في ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، فقد روى البخاري ما جرى في الحديبية مع عروة بن مسعود لما عاد لقومه ، قال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ﴾ [1] .

وروي : لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ

---

١ – صحيح البخاري – ج ٩ ص ٢٥٦ – باب لا مانع لما أعطى الله – حديث ٢٥٢٩ .

لَا تَشْعُرُونَ ﴾[1] قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي ، فمر به عاصم بن عـــدي فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟

قال : هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فـــيّ ﴿ أَنْ تَحْـبَطَ أَعْمَـالُكُمْ وأَنْـتُمْ لا تَشْعُرونَ ﴾ وأنا رفيع الصوت على النبيﷺ أخاف أن يحبط عملي وأكــون من أهل النار.

فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ ، وغلب ثابتاً البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي فسدي عليَّ الضبَّة [2] بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطفته[3] ، وقال : لا أخــرج حتــى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ .

فلما أتى عاصم النبي وأخبره بخبره قال ﷺ : ﴿ إذهَبْ فادعُهُ ﴾ ، فجــاء عاصم إلى المكان الذي فيه رآه فلم يجده ، فجاء إلى أهله فوجـده فـــي بـــيت الفرس ، فقال له : إن رسول الله يدعوك .

فقال : أكسر الضبَّة ، فأتيا رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ما يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ ؟ ﴾ .

---

١ - الحجرات : ٢ .

٢ - الضَبَّة : حديدة أو خشبة يُضبُّ بها الباب (المنجد في اللغة والأعلام - مادة ضبَّ - ص ٤٤٤) .

٣ - العِطْف : من كل شيء : جانبه ، وعطَّفَ الوسادة : ثناها (المنجد في اللغة والأعـــلام - مـــادة عطف - ص ٥١٢) .

فقال: أنا صَيِّت[1] وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ !

فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ﴾ .

فقال : قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... ﴾[2] ﴾ [3] .

ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [4] . وكان هذا الحال من وفد بني تميم جاءوا إلى رسول الله ﷺ فنادوا : يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين ، قال فسمع رسول الله ﷺ فخرج إليهم وهو يقول : ﴿ إنما ذلكم الله عزَّ وجَل ، فَمَا تُرِيدُونَ ؟ ﴾ [5] في قصة طويلة ، وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم ، فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة ، وفي هذا تأدب للمريد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه وترك الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته .

---

١ – الصَيِّت : الشديد الصوت (المنجد في اللغة والأعلام – مادة صات – ص ٤٣٩) .

٢ – الحجرات : ٣ .

٣ – تفسير ابن كثير – ج ٤ ص ٢٠٨ .

٤ – الحجرات : ٤

٥ – أبو نعيم الأصبهاني – معرفة الصحابة – ج ٣ ص ٢٧٣ .

ومن جملة الآداب التي يجب على المريد مراعاتها مع شيخ الطريقة :

- قبل كل شيء يجب على المُريد أن لا يدخل على الشيخ أو يحضر مجلسه إلا وهو على طهارةٍ كاملة ووضوءٍ تام وان يستأذن عليه في الدخول [1] .

- أن يجلس بين يدي شيخه على نعت السكينة والوقار ناكساً رأسه غاضاً بصره [2].

- على المريد أن يواظب على حضور مجالس الشيخ ، فإن كان في بلد بعيد فعليه أن يكرر زيارته بقدر المستطاع ، وذلك لأنه كما قيل: زيارة المربي ترقي وتربي .

وقد عد الصوفية ان سيرهم بني على ثلاثة أصول : الاجتماع والاستماع والإتباع ، وبذلك يحصل الانتفاع[3] .

- على المريد أن ينظر إلى الشيخ في مجلسه بقدر الحاجة للرابطة القلبية وان لا يلتفت إلى غيره ، يقول الشيخ أحمد الرفاعي الكبير ﷺ : « المشايخ عند المريدين كالقبلة ، والنظر إلى وجه الشيخ عبادة تزيد في الدين والعقل والإيمان ومن البلاء أمان »[4].

---

١ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص ٣٠٦ .

٢ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – الأنوار الرحمانية في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص٢٢٦ .

٣ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٧ .

٤ – السيد محمد أبي الهدى الرفاعي – قلائد الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر – ص ١٧٧ .

● على المريد أن يحب شيخه محبة فائقة ، وإنما تقوى محبة المريد لشيخه بموافقته له أمراً ونهياً ، ومعرفتِهِ لله تعالى في سيره وسلوكه ، فالمريد كلما كبرت شخصيته بالموافقة ازدادت معرفته ، وكلما ازدادت معرفته ازدادت محبته[1] .

قال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : المخلص يحبني والمنافق يبغضني ، السُنّي يحبني والبِدَعي يبغضني ... وما يحبني إلا عالم بالله ﷻ ... إن أحببتني فنفع ذلك عائد إليك وأن أبغضتني فضرر ذلك عائد عليك ، وما أنا واقف مع مدح الخلق وذمهّم [2] .

ومن تكن محبته لشيخه غالبة يكن منظوراً بالنظر الإلهي بواسطة المحبة لشيخه ، لأن الله تعالى ينظر بنظر الموهبة والمحبة إلى قلوب الأولياء ، فبواسطة الاستقرار وتمكن حبه في قلب الشيخ ينزل الله تعالى عليه آثار الرحمة والفيض الرباني متواتراً ، وقبول الشيخ علامة قبول الله تعالى ورسوله ﷺ [3] .

● مما يجب على المريد أن لا يشارك في محبة الشيخ أحد غيره ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه لئلا يتشتت قلبه بين شيخين ، فمثل المريد في ذلك كمثل المريض الذي يطبب جسمه عند طبيبين في وقت واحد فيقع في الحيرة والتردد وقد قيل : (الذي بين شيخين كالذي بين سيفين) .

---

١ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٦ .

٢ – الناشر الشيخ محمد الكسنزان – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص ٨ .

٣ – الشيخ تاج الدين بن زكريا العثماني – مخطوطة آداب المريدين برقم (١٣٧٢٣) – ص ٢٧ .

وينبغي الملاحظة أن المقصود بالشيخ هنا هو شيخ التربية لا شيخ التعليم ، إذ يمكن لطالب العلم أن يكون له عدة أساتذة في التعليم لأن ارتباطه بهم ارتباط علمي ، بينما صلة المريد بشيخ التربية صلة قلبية وتربوية وروحية [١] .

● على المريد أن يعظم شيخه وان يحفظ حرمته حاضراً وغائباً [٢] ، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ : من وقع في عِرض وليٌّ ابتلاه الله بموت القلب [٣] .

ويقول الشيخ ابن عربي في الفتوحات – الباب (١٠٨) منشداً :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة اللهِ فقم بها أدباً للهِ باللهِ
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم على الدلالة تأييداً على اللهِ
كالأنبياء تراهم في محاربهم لا يسألون من الله سوى اللهِ

● وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه من الشيخ ، لأن الشيخ مستنطقاً نطقه بالحق ، وحضرته رافع قلبه إلى الله تعالى يستمطر للمريدين ويستسقي لقلوبهم البركة ، فلسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى ما يفتح به عليهم .

● على المريد أن يكون مبادراً إلى خدمة الشيخ بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله ، إذ خدمة الرجال سبب الوصال لمولى الموالي ، فمن خَدَم خُدِم [٤] ، ونقل عن الشيخ علي وفا أنه قال : « من تقرب إلى أستاذه بالخدم

---

١ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٦ (هامش ٣) .
٢ – المصدر نفسه – ص ٦٥ .
٣ – المصدر نفسه – ص ٦٦ .
٤ – المصدر نفسه – ص ٦٧ .

قرب الحق تعالى إلى قلبه بأنواع الكرم »[1] .

ومما يذكر في هذا الشأن أن إبراهيم المواهبي لما جاء إلى الشيخ أبي المواهب يطلب الطريق أمره أن يجلس في الإسطبل يخدم البغلة ويقضي حوائج البيت فمكث سنين حتى دنت وفاة الشيخ ، فقال : ائتوني بإبراهيم ، فأتوه به ففرش له سجادة وقال له : تكلم على إخوانك في الطريق ، فأبدى لهم العجائب والغرائب نظماً ونثراً حتى انبهرت عقول الحاضرين[2] .

● حسن العقيدة بشيخه حتى يعتقد بأن شيخه معه في كل وقت ومكان ، وأنه يتصرف في كل أموره من هذا المنطلق ، فالشيخ أولى بالمريدين من أنفسهم كما ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[3] .

● على المريد أن يستسلم لشيخه وأن يطيعه في جميع أوامره ونصائحه ، وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي يهمل فيه المرء عقله ويتخلى عن شخصيته ، ولكنه من باب التسليم لِذي الاختصاص والخبرة ، وهذا يشبه تماماً استسلام المريض لطبيبه استسلاماً كلياً في جميع معالجاته وتوصياته ، ولا يُعَدُّ المريض في هذا الحال مهملاً لعقله متخلياً عن كيانه وشخصيته ، بل يُعْتَبَرُ منصفاً عاقلاً لأنه سلَّم لذي الاختصاص ، وكان صادقاً في طلب الشفاء [4] .

---

١ – الإمام الشعراني – الأنوار القدسية – ص ١٥٠ .

٢ – المصدر نفسه – ص ١٢٧.

٣ – الأحزاب : ٦ .

٤ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٣ .

يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني ﵁ : « يا غلام : إذا دخلت عندي فاطوِ عملك ورؤية نفسك . أدخل بلا شيء مفلساً ... من أراد الصلاح فليصر أرضاً تحت أقدام الشيوخ ، ما صفة هؤلاء الشيوخ التاركين للدنيا والخلق ، المودّعين لها من تحت العرش إلى تحت الثرى ، السموات وما فيهن ، والأرضين وما فيهن ، الذين تركوا الأشياء وودعوها وداع من لا يعود إليها قط ، ودعوا الخلق كلهم ونفوسهم من جملتهم ، لوجودهم مع ربهم ﷻ في جميع أحوالهم ،... يا صاحب المال ، إنسَ مالك وتعالَ بين الفقراء وذلّ لله ﷻ ولهم »[1].

إن سر وجوب طاعة المريد التامة لشيخه كما أطاع الصحابة ﵃ النبي ﷺ قبل انتقاله هو أن المريد كالمريض أمام شيخه الذي هو طبيبه ، وكذلك كان الصحابة ، والشيخ لا يأمر المريد أو ينهاه إلا بما فيه خيره وعلاجه من أمراضه الروحية بما ورثه من نور الرسول ﷺ ، كما كان حضرته ﷺ يطبب قلوب أصحابه بما أمده الله تعالى من نوره .

إن الطاعة المفترضة هنا هي طاعة ولي الأمر الروحي للمريد وهي واجبة وجوبها للنبي ﷺ ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَطيعوا اللَّهَ وَأَطيعوا الرَّسولَ وَأولي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2] ، فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول لأنه وارثه ، و﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ ﴾[3] .

---

١ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص ٨ .
٢ – النساء : ٥٩ .
٣ – النساء : ٨٠ .

فعلى المريد أن تكون طاعته لشيخه كطاعة سيدنا إسماعيل عليه السلام لوالده عندما قال له : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] ، وان ينفذ أمر الشيخ ، فالشيخ هو الأب الروحي للمُريدين جميعاً وأستاذهم في السلوك .

- على المريد في الطريقة الكسنزانية ان يطيع الوكيل العام لرئيس الطريقة كطاعته لشيخه طاعة تامة ، لأن طاعة الوكيل العام هي عين الطاعة لشيخ الطريقة ، وطاعة الشيخ هي الامتداد الحي لطاعة حضرة الرسول الأعظم ﷺ والى الله تعالى في سلسلة متصلة غير منفصلة .

ولشيخ الطريقة في هذا الأمر أسوة حسنة برسول الله ﷺ في مواطن عديدة ، ومنها حين أمَّر حضرة الرسول ﷺ أسامة بن زيد وهو في سن مبكرة ، لم يتجاوز العشرين على جيش فيه من أكابر الصحابة بين أفراده وجنوده منهم الصحابيان الجليلان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقاموا بواجب السمع والطاعة على أكمل وجه ، حتى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ومع انه صار خليفة رسول الله ﷺ فقد كان يستأذن من أسامة في من يريده أن يبقى معه [2].

هكذا كانوا أصحاب رسول الله ﷺ يطيعون من يوكلهم رسول الله ﷺ ومن يأمر بطاعتهم ، وعلى هذه السيرة العطرة والنهج القويم ينبغي على

---

١ – الصافات : ١٠٢ .

٢ – تاريخ الطبري – ج ٢ ص ٤٦٢ .

المريدين ان يحثوا الخطى في السير والسلوك .

● على المريد كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ أن يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام... فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ ، فللشيخ في كل شيء حق بلسان العلم والحكمة .

● على المريد أن يستمع لشيخه فيما يقول ويسجل في ذهنه وقلبه ذلك ولا يعترض ولا يعلق ولا يحاول أن يضيف [١] .

● على المريد أن يصبر على مواقف شيخ الطريقة التربوية كجفوته وإعراضه وأن لا يعترض على شيخه في طريقة تربيته له ، لأنه مجتهد في هذا الباب عن علم واختصاص وخبرة، كما لا ينبغي أن يفتح المريد على نفسه باب النقد لكل تصرف من تصرفات شيخه ؛ فهذا من شأنه أن يُضْعِفَ ثقته به ويَحجُبَ عنه خيراً كثيراً ، ويَقطعَ الصلة القلبية والمدد الروحي بينه وبين شيخه [٢] .

قال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : دع عنك رياستك وتعالَ اقعد هاهنا كواحدٍ من الجماعة حتى ينزرع كلامي في أرض قلبك ، لو كان لك عقل لقعدت في صحبتي ، وقنعتَ مني كل يوم بلقمة ، وصبرت على خشونة كلامي . كل من كان له إيمان ثبت ونبت ، ومن ليس له إيمان هرب مني [٣] .

---

١ – السيد الشيخ محمد الكسنـزان – الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية – ص ٣٠٧

٢ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٤ .

٣ – السيد الشيخ محمد الكسنـزان – جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر – ص ٨ .

وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث ، فطردني وقال : لا تجلس عندي ، فلم أجعل مكافأتي له على كلامه أن أولي ظهري إليه ، فانصرفت أمشي إلى خلف ووجهي مقابل له حتى غبت عنه واعتقدت أن أحفر لنفسي بئراً على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه ، فلما رأى ذلك مني قربني وقبلني وصيرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله .

وقال ابن حجر الهيتمي : « كثير من النفوس التي يراد لها عدم التوفيق إذا رأت من أستاذ شدة في التربية تنفر عنه ، وترميه بالقبائح والنقائص مما هو عنه بريء ، فليحذر الموفق من ذلك ، لأن النفس لا تريد إلا هلاك صاحبها ، فلا يطعها في الإعراض عن شيخه »[1] .

● على المريد أن يراعي خطرات الشيخ في جزئيات الأمور وكلياتها ، ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمداً على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته .

قال إبراهيم بن شيبان : كنا نصحب أبا عبد الله المغربـــي ونحن شبان يسافر بنا في البراري والفلوات ، وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ نتشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان .

● عليه أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره [2] .

---

١ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٤ .

٢ – السهروردي – عوارف المعارف – ص١٩٨ – ١٩٩

● على المريد أن لا يتكلم في مجلس الشيخ حتى يبادئه الشيخ بالكلام ، وأن لا يلتفت إلى غيره أثناء كلامه مع الشيخ .

يقول الشيخ عمر السهروردي : « أحسن أدب المريد مع الشيخ : السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولاً وفعلاً » [1] .

● وشأن المريد في الاستماع في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقاً يساق إليه ، فتطلعه إلى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله ، وتطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى إثبات شيء لنفسه وذلك جناية المريد .

● على المريد أن لا يكثر الأسئلة وان لا يثقل عليه بالكلام إلا إذا كان في موضوع الشرع ولا يتعجل الجواب [2] .

● يجب أن لا يتحدث لأحد أو مع أحد في مجلس الشيخ ، إلا إجابة لشيخه إذا خاطبه ، إتباعاً لكون الشيخ وارثاً للنبي ﷺ قال : ﴿ اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ﴾[3].

● وإذا سأل الشيخ المريد فعليه أن يرد بصوتٍ واضحٍ وخفيضٍ على قدر ما يتطلب جواب السؤال ، عملا بقوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَرْفَعوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَروا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

---

١ - المصدر السابق - ص ٢٨٢ .

٢ - السيد الشيخ محمد الكسنـــزان - الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية - ص ٣٠٧

٣ - سنن الترمذي - ج ٥ ص ٤٧ -رقم ٢٦٧٩ .

لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [1] ، فان غير ذلك يؤثر سلباً في حال المريد .

قال الشيخ زروق : ثم إن طلب أحدهم بالكلام فإن كان الكلام عادياً أتى به منخفضاً وإن كان في العلوم والحقائق نظر فإن حضرته نفسه ترك ، وإلا تكلم بأقل ما يمكن من الكلام في ذلك لأن الكلام في حضرة الأستاذ مقت .

ثم قال : ومن أعجب ما شهدته في بعض الناس أنهم يدخلون على رجال من أهل الكمال لقصد الانتفاع بهم ثم يبسطون ألسنتهم بالكلام في وجوه من صور الحقائق ويظنون أنهم بذلك متقربون لقلوبهم ومتحببون لهم ولا أدري هل ذلك لظنهم خلوهم مما يألونه أو لرؤيتهم إن ذلك مما يقربهم إليهم أو ليروهم أنهم يفهمون ويذوقون ، هذه كلها جهالات أعاذنا الله منها [2] .

● إن لم يفهم المريد كلام الشيخ أو رآه مخالفاً لرأيه أو لما عند غيره فعليه أن لا يعارضه ، بل يقول : يا شيخ أو يا أستاذ ، لم أفهم على وجه الاستفهام لا على وجه التعارض فإن ظهر خلاف ما ظهر للشيخ فليسكت .

وقد ذكر أن بعض أصحاب الجنيد ﵁ أنه سأله مسألة فأجابه ، فعارضه فقال الجنيد ﵁ : فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون [3] .

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي : ومَنْ فتح باب الاعتراض على المشايخ والنظر في أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته ، وأنه لا يَنْتُج قط ، ومن ثَمَّ قالوا : من قال لشيخه لِمَ ؟

١ – الحجرات : ٢ .

٢ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – الأنوار الرحمانية في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص ٢٢٦.

٣ – السهروردي – عوارف المعارف – ص٢٠١ .

لَمْ يفلح أبداً [١]، وقال أبو العباس المرسي: « تَتَبَّعْنا أحوال القوم فما رأينا أحداً أنكر عليهم ومات بخير »[٢].

● أن لا ينقل من كلام الشيخ إلى الناس إلا بقدر أَفهامهم وعقولهم لئلا يسيء إلى نفسه وشيخه، وقد قال سيدنا علي ﷺ : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسولُهُ ؟ » [٣] .

● إنَّ المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد لسماع كلامه ، فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى ، فللحديث مع الشيخ أيضاً آداب وشروط ، لأنه من معاملة الله تعالى ، ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يحب من الأدب .

وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال: ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[٤]يعني أمام مناجاتكم.

قال عبد الله بن عباس : سأل الناس رسول الله ﷺ فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسألة ، فأدبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم أن

---

١ – المقصود بهذا الأدب : هو مريد التربية والكمال والوصول إلى الله تعال ، أما التلميذ الذي يأخذ علمه عن العلماء فينبغي له مناقشتهم وسؤالهم حتى تتحقق له الفائدة العلمية (الفتاوى الحديثية" ص ٥٥ للمحدث ابن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤هـ) .

٢ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٦ .

٣ – أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم .

٤ – المجادلة : ١٢ .

لا يناجوه حتى يقدموا صدقة .

وقيل : كان الأغنياء يأتون النبي ﷺ ويغلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي ﷺ طول حديثهم ومناجاتهم ، فأمرُ الله تعالى بالصدقة عند المناجاة ، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته .

فأما أهل العسرة فلأنهم لم يجدوا شيئاً، وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا ، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ونزلت الرخصة وقال الله تعالى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾[1] .

- أن لا يحاول المريد الجلوس في مجلس الشيخ مع أهل الدنيا وأن لا يقترب ليسمع من كلامه معهم أو كلامهم معه فربما يؤذي ذلك قلبه ويخرجه من حاله .

- على المريد أن لا يطلب من الشيخ أن يعامله كما يعامل الضيوف أو أبناء الدنيا لان علاقة المريد بالشيخ علاقة قلبية وروحية .

يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أجنبية فنكتفي معه بموافقة القلوب ونقنع بها عن ملاقاة الظاهر بهذا القدر، وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر، فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش ، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ [2] .

---

١ – المجادلة : ١٣ .

٢ – الشيخ إبراهيم حلمي القادري – مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة – ص ٣٥ .

● أن لا يخطر على باله وهو في مجلس الشيخ خـــاطر دنيـــا مـــن مـــال أو ولد أو نساء أو غير ذلك بل يحفظ قلبه عن مثل هذه الخـــواطر والوســـاوس بطردها إذا ما وجدت بالاستغفار والرابطة مع الشيخ .

● إذا كان المريد يقرأ القرآن وحضر الشيخ فعليه أن يكمل الآية ثم يـــنهض احتراما لشيخه .

● على المريد أن لا يخرج مسبَحَتَه في مجلس الشيخ ويعمل بورده ، فسكون ظاهره وباطنه في مجلس الشيخ أفضل وعليه أن يكون مقتدياً بالصحب الكـــرام حين كانوا يجلسون في مجلس حضرة الرسول ﷺ كما قيـــل : وكـــأن علـــى رؤوسهم الطير .

● وعلى المُريد أن يحترم هدية الشيخ ويضعها في مكـــان لائـــق بمقامهـــا ويحتفظ بها فأنه لا يدري أي ســـر وضـــعه الشـــيخ فيهـــا ، وقـــد ورد عـــن الرسول ﷺ إنه طوى سراً في ثوب وأعطاه لأبي هريرة فصار قلبه حياً ولـــم ينس أي شيء بعد ذلك ، يقول الشيخ السهروردي : كنت ذات يوم في البـــيت خالياً وهناك منـــديل وهبـــه لـــي الشـــيخ وكـــان يـــتعمم بـــه، فوقـــع قـــدمي على المنديل اتفاقاً ، فتألم باطني من ذلك ، وهالني الوطء بالقـــدم علـــى منـــديل الشيخ ، وانبعث من باطني من الاحترام ما أرجو بركته[1] .

● عليه أن أن يجلب السرور للشيخ دائماً ولا يخبره بأخبار تزعجه ، وعليه أن لا يغضب الشيخ لأن الله ﷻ يغضب لغضبه[2] .

---

١ - السهروردي - عوارف المعارف - الباب الحادي والخمسون - أدب المريد في مجلس الشيخ .

٢ - السيد الشيخ محمد الكسنـــزان - الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية - ص ٣٠٧ .

- على المريد أن يدافع عن الشيخ بكل ما يستطيع من يدٍ ولسانٍ وقلبٍ وان يكرم نسل الشيخ وأهله إكرامه للشيخ .
- على المريد أن يقوم إذا قام الشيخ ولا يجلس إلا بأذنه [١].
- على المريد أن لا يذكر اسم الشيخ وهو يخاطبه بل يقول : يا شيخ ، يا أستاذ ، قربان[٢] ، أو ما إلى ذلك .
- على المريد أن لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم مع أحد في مجلس الشيخ فان ذلك يُشتت قلبه ويفقد وارده القلبي الفائض عليه من قبل الشيخ [٣].
- كما يجب على المُريد أن لا يتقدم على الشيخ بالسير إلا للضرورة كحمل مصباح أو إزالة العوائق من الطريق وغيرها [٤].
- على المريد أن لا يصاحب من يكره شيخه ويحرضه على تركه ولا يسمع فيه شك المنافقين [٥] .
- على المريد أن لا يدير ظهره نحو الشيخ إذا خرج من عنده [٦].
- عليه أن لا يبخل عليه بشيء أراده مهما غلا .

---

١ – المصدر السابق – ص ٣٠٧ .

٢ – قربان : كلمة كردية تعني : انا فداك ، وكان صحابة رسول الله ﷺ يقولون له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، وورد في الحديث (قال سلمة رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال : ﴿ ما لك ؟ ﴾ قلت له : فداك أبي وأمي ...) صحيح البخاري – ج ٤ ص ١٥٣٧ – رقم (٣٩٦٠)

٣ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص ٣٠٧ .

٤ – المصدر نفسه – ص ٣٠٧ .

٥ – المصدر نفسه – ص ٣٠٧ .

٦ – المصدر نفسه – ص ٣٠٧ .

فهذه جملة من الآداب التي يجب على السالك مراعاتها والمحافظة عليها فإن الطريق كلها آداب ، حتى قال بعضهم : اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً .

وقال الشيخ أحمد بن عجيبة ﷺ في قصيدته العينية في الآداب :

مــع الشيخ آداب إذا لم تكن لــه فإنــه في وادي القطيــعة راتــع

خضوع وهيبة وصــدق ومحبــة وعــقل كمال فيــه انــه جامــع

فلا ترفعن صوتاً إذا كان حاضراً ولا تضحكن فالضحك فيه فجائعُ

ولا تعتــرض أصــلاً عليه فإنه بنــو شهــودٍ للبــصيرة تابــعُ

ولا ترفعــن عيناً إلى مــاء غيره فترمى كسيراً في المعاطش ضائعُ

ولا تخرجن من عش تربية غدت تمدك بالأنــوار منهــا تتابــــعُ

وآداب المريد لا نهاية لها مع شيخه ، وقد أفردها المربون بالتآليف الكثيــرة لما اعتبروها الركن الأعظم في الوصول والترقي .

وهذه الآداب كلها إنما تُطلب من المريد الحقيقي الذي يريد الوصول للحضرة الإلهية ، وأما المريد المجازي فهو الذي ليس قصده من الدخول مــع الصــوفية إلا التزيي بزيهم ، والانتظام في سلك عقدهم ، وهذا لا يُلزَم بشــروط الصــحبة ولا بآدابها ، ليس منهم أصلاً.

آداب المريد في زيارة التكية

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [1] .

بما أن التكية مكان الذكر والصلاة فإن لها قدسية عظيمة حيث يأوي إليها عدد من الفقراء لتأدية شعائر الطريقة ، ويعتكف بها محبو العبادات ، فهي مدرسة تعلم المريدين ممارسات شعائرهم الدينية ابتداء من الطهارة والوضوء والصلاة وآداب الذكر وكيفية أدائه ، وبعد إحكام البدايات ، تعلم السلوك من رياضات ومجاهدات وتبين أحكامها ومدارجها ، ثم تدخل المريد إلى عالم القلب لتفسير الخواطر وأسلوب تنقيتها والمذاقات الروحية . فيخرج منها الأولياء الصالحون والعباد والزاهدون في الدنيا غير الراغبين فيها ، الطالبون رضاء الله تعالى المشتاقون للقائه سبحانه . فالتكية مجمع أرواح الأولياء والروحانيين ونظر الأصفياء والملائكة المقربين ، مكان التجلي الإلهي على عباد الله الذاكرين كما قال ﷻ : ﴿ أنا جليسُ مَنْ ذكَرَني ﴾[2] .

فماؤها وخبزها وملحها دواء لأهل الأسقام وترابها تبرك لأهل العقائد والإيمان ، يلجأ إليها المضطرون ويتوسلون ببركة أهلها فيكشف عنهم الضر ، ويرتادها أهل الأسقام فيبرؤون من أسقامهم ببركة شيخها صاحب الذكر والتلقين والمدد الروحي فإن شرف المكان بالمكين .

لهذا كان لزيارتها والدخول في حرمها ، شروط وآداب ينبغي على المريد أن

---

١ – النور : ٣٦ .

٢ – البيهقي – شعب الإيمان – ج ١ ص ٤٥٨ – رقم ٧٠٩ .

يعرفها وان يحكم التأدب بها ، إذا ما أراد أن يستفيد من قدسية المكان وما يشتمل عليه من روحانية طاهرة ، ومن هذه الآداب :

- أن يدخل التكية بنية طلب البركة ورضاء الله تعالى بالصلاة والذكر ومجالسة شيخ الطريقة أو الكون معه روحياً ليتقوى إيمانه ويزداد يقينه .
- أن يدخل التكية بنية الاستماع للإرشاد فيها والعزم على السمع والطاعة.
- أن يكون حريصاً كل الحرص على شعائر التكية من صلاة وذكر وأوراد وان يقضي فيها كل وقته ولا يتركها .
- أن يدخلها المريد طالباً ولا يدخلها عالماً مهما كان ، فيفسد طبعه ولا ينتفع بأهلها .
- أن يدخل طاهر البدن والثياب ويحافظ على وضوئه ما زال فيها .
- أن يخدم في التكية ما أمكنه من خدمة الفقراء والمرضى والعباد الذين أثقلتهم العبادات واستقبال الضيوف وخدمتهم فإن في هذه الخدمة أجراً عظيماً لا يعرف بركته إلا أهله وأن يعتني بنظافتها وطهارتها.
- أن يحفظ نفسه من الجدال والكذب والنفاق والغيبة والحسد ..
- أن لا يتكلم في حرمها بكلام الدنيا أو بكلام أهلها .
- أن لا يرفع صوته أثناء كلامه في غير ذكر الله تعالى ،
- أن لا ينام فيها إلا على غلبة .
- أن يجلس في المكان الفارغ ولا يزاحم أحداً .
- أن لا يشتري فيها ولا يبيع ولا يخاصم .

آداب المريد في حلقة الذكر

في الطريقة الكسنــزانية على المريد أن يواظب على حضور حلقات الـــذكر الرسمي وكذلك اليومي ما أمكنه ذلك ، وان يجتهد أن لا يتخلف أو يتأخر عـــن الحضور لحلقة الذكر إلا إذا كان مضطرا إلى ذلك .

وتكمن أهمية حضور المريدون لحلقات الذكر عند مشايخ الطريقة في الفوائد الروحية التي يتحقق بها المريدين عند اجتماعهم ففي حلقة الذكر تلتقي القلـــوب ويكون التعاون والتجاذب ، ويستسقي الضعيف من القوي ، والمُظْلَمُ من المُنّـــور والكثيف من اللطيف ، والجاهل من العالم . وقد يوجد أحد المريدين من أصحاب الصفاء والنقاء ، يذكر بصدقٍ وإخلاص ويغاث بأنوار الذكر غيثاً يستفيد منه كل غافل وجاهل فيخرج ببركة الذكر لا يستثنى مـــنهم أحـــد ، فيحصـــل الغافـــل ما لا يحصل عليه إذا جلس للعبادة سنين طويلة ، وهذه من بركـــات الاجتمـــاع للذكر ، فكم من غافلٍ ينتبه وكم من قلبٍ نائم يستيقظ وكم من جامدٍ يتحرك .

وهناك آداب قبل الذكر ، وأخرى يجب توفرها أثناء حلقة الذكر ، وآداب بعد الذكر مباشرة .

وبتحقق المريد بها جميعاً ينال بركة عظيمة لا ينالها لو جلس عابداً وذاكـــراً السنين الطوال ، ولهذا ينبغي على المريد أن يحافظ على آداب الـــذكر ليتحقـــق بأكبر قدر من الفوائد الروحية التي تنفعه في الدنيا والآخرة .

آداب ما قبل الذكر :

• على المريد أن يكون طاهراً متوضئاً كلما أراد الذكر ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : إن استطعت أن لا تذكر الله إلا وأنت طاهر فافعل .

• التوبة النصوح من كل الأعمال والذنوب والغفلات التي ارتكبها قبل حضوره الذكر ليفتح عليه باب الرحمة من الحق تعالى ويكون مهيئاً لاستقبال الفيوضات والأنوار الربانية .

• ينبغي أن يكون جسده نظيفا نقياً من الحرام كسباً وغذاءً [1].

• تطييب رائحة جسمه وتعطير فمه وملابسه ويتجنب تناول الأطعمة ذات الروائح الخبيثة قبل الذكر حتى لا يشغل المريدين بها عن التمعن بالذكر.

• إخلاص النية وهو أن يكون الباعث له على الذكر امتثال أمر الله تعالى لا غير ذلك

• أن يطهر قلبه للذكر وأن يفرغه من كل موجود سوى المذكور ، فالقلب محل نظر الحق تعالى ، فعليه تصفيته وتنقيته من جميع الخواطر والعلائق الدنيوية والشواغل التي من شأنها إفساد حضوره القلبي وأن يجاهد في طرد وساوس الشيطان وهواجس النفس، وأن لا يشغل قلبَه في أُمور الدنيا ، وأن يكون متهيئاً لما يَمنُّ الله به عليه من تجليات أفضاله .

• في حالة الذكر المفرد يستحب أن يجلس في مكان خال ونظيف ، مطرقاً برأسه ، متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار ، مستقبلا القبلة ، أما إذا كان الذكر جماعياً فيكون مع بقية المريدين في حلقة سواء في وضع الجلوس أو القيام حسب نوع الذكر .

---

١ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ١١٢ – ١١٣ .

● أن يجلس حيث انتهى به المجلس إذا كان الإخوان جلوساً ، وإذا كانوا وقوفاً وقف خلفهم وذكر بذكرهم حتى ينتبه له أقربهم ويفسح له ليدخل بينهم ، وينتظم في حلقتهم حتى لا يقطع عليهم اشتغالهم بالذكر، وأن يكون موافقاً لهم في وضعهم ، فلا يشذ عنهم بمخالفة ، فلا يخترق الصفوف أثناء الحركة لينفذ إلى داخل الحلقة ، بل يرى المكان الفارغ ويقف فيه إن جاء متأخراً .

آداب أثناء الذكر :

● أن يبدأ ذكره بالبسملة والاستمداد من همة شيخه ، وأن يرى أن استمداده من شيخه هو في الحقيقة استمداد من حضرة الرسول الأعظم ﷺ ، لأن الشيخ باب المريد للحضرة المحمدية المطهرة .

● أن يغمض عينيه ليسد طرق الحواس الظاهرة شيئاً فشيئاً ، وسدها يكون سبباً لفتح حواس القلب .

● أن يرابط مع شيخه روحياً ولا يغيب عنه ليحصل له الاتصال مع الرسول ﷺ روحياً عن طريق سلسلة المشايخ .

● على المريد أن يكون موافقا لحركة الذاكرين ، إلا لمن صحبه حال وحال دون سكونه فهو معذور ، كما يجب مراعاة صوت الطبلة في الحركة .

● أداء الحركة الصحيحة في الذكر بكيفيتها التي أمر بها شيخ الطريقة بدون زيادة أو نقصان ، لأنها تنشط الجسم للذكر، وتساعد على حضور القلب مع الله تعالى ، إذا صحت النية ، فالأمور بمقاصدها.

إن هذه الحركة وهذا الاهتزاز جائز شرعا، لما روي عن أبي أراكة انه قال : « صلّيتُ مع علي صلاة الفجر، فلما أنفتل عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبة ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ،

ثم قلب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً ، بين أعينهم كأمثال رُكَب المَعْزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً ، يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله فمادوا [أي : تحركوا] كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تَبتَلَّ – والله – ثيابُهم » [1] .

وقد استدل الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله بهذا الحديث في إحدى رسائله على ندب الاهتزاز بالذكر، وقال : هذا صريح بأن الصحابة ﷺ كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر.

- موافقة صوته صوت الحلقة من حيث الجهر والإخفاء وحسب النظام المتداول بطريقتنا فلا يجهر في الإخفاء ولا يخفي في الجهر . وأن يجتهد في إخفاء صوته في أصواتهم حتى لا يكون مميَّزاً بينهم .

- استحضار معاني الذكر وتدبرها ، وعدم الإسراع بالشكل الذي لا يفهم معه ما يقول . فإن كان يستغفر فعليه أن يلاحظ بقلبه طلب المغفرة والعفو من الله تعالى ، وإن كان يصلي على النبي ﷺ فعليه أن يستحضر عظمة رسول الله ﷺ بقلبه ، وإن كان يذكر بالنفي والإثبات وهو (لا إله إلا الله) فعليه أن ينفي كل شاغل يشغله عن الله تعالى .

وفي كل الأحوال عليه ألا يَترك الذكر باللسان لعدم حضور القلب ، بل يذكر الله بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه ؛ لأن غفلة الإنسان عن الذكر إعراض عن الله بالكلية ، وفي وجود الذكر إقبال بوجهٍ ما ، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين له بطاعة الله ، وفي فقده تعرضٌ لاشتغاله بالمعاصي القولية كالغيبة

---

١ – ابن كثير – البداية والنهاية في التاريخ– ج٨ ص٦، وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية –ج١ص٧٦ .

والنميمة وغيرها ، وفي هذا يقول ابن عطاء الله السكندري : « لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله تعالى فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره، أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك الله من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غَيْبَةٍ عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز »[1] .

فعلى المريد ملازمة الذكر باللسان حتى يفتح القلب ، وينتقل الذكر إليه ، فيكون من أهل الحضور مع الله تعالى[2].

- ألا يظهر المُريد حاله الذي يطرأ عليه أثناء الذكر ويكتمه قدر المستطاع .
- عدم مسك صاحب الحال على كتفه ظناً بالتخفف ، بل يمسك صاحب الشوق ، والفرق بينهما : إن صاحب الحال بطيء الحركة لا يؤثر على الحلقة وصاحب الشوق سريع الحركة يقفز قفزات غير مرتبة وسريعة ، يمكن مسكه إذا رؤي انه يؤثر على سير الذكر .
- عدم ترك حلقة الذكر أثناء سير الذكر لشرب الماء أو الكلام مع شخص آخر فإن فيها ضرراً كبيراً على حاله .
- لا يسمح للمرضى بالوقوف متفرجين محتجين بأمراضهم بل عليهم أن يدخلوا الحلقة ويجلسوا في وسطها ، وان يرددوا مع الذاكرين ما أمكنهم ذلك .

---

١ – ابن عجيبة – إيقاظ الهمم في شرح الحكم – ج١ ص ٧٩ .

٢ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ١١١ .

آداب ما بعد الذكر :

● أن يسكن المُريد بعد الانتهاء من الذكر وان يخشع لعله يـــرد عليـــه وارد فيعمر وجوده في تلك اللحظة ، ولهذه السكتة البسيطة ثلاثة آداب كما يرى الإمام الغزالي وهي :

الأول : أن يرى المريد نفسه بين يدي الله تعالى وانه عز وجل مطلع عليه .

الثاني : نفي الخواطر كلها وإجراء معنى (الله .. الله) على القلب .

الثالث : أن يجمع حواسه كلها على الرابطة بحيث لا يتحرك منه شعرة .

● أن يذم نفسه مراراً وبقدر ثلاثة أنفاس إلى سبعة أو أكثر حتى يدور الوارد في جميع حواسه فتتنور بصيرته وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان .

● عدم شرب الماء البارد بعد الانتهاء من الذكر مباشرةً لان الذكر يـــورث حرقة وهيجاناً وشوقاً والماء يبرد ذلك .
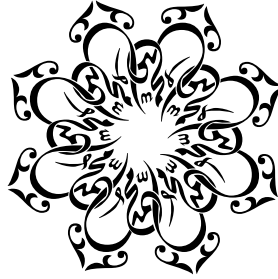
آداب المريد

أثناء تأديته للأوراد اليومية والختمات العامة

- عدم ترك الأعمال الدنيوية والواجبات المطالب بأدائها وخصوصاً الموظف والعسكري متذرعاً بالأوراد لأن ذلك مما يسيء إلى سمعة الطريقة ويفتح المجال للمنافقين بأن يطلقوا ألسنتهم في وصفه بالإهمال .
- أن يحذر من حمل المسبحة في بعض الدوائر والثكنات العسكرية حيث يمنع حمل المسبحة عُرفاً .
- على المريد أن يحفظ لسانه عن الكذب والغيبة وما إلى ذلك أثناء أدائه الأوراد .
- يمكن للمريد أن يشتغل في الأوراد أثناء السير أو ركوب السيارة محاولاً أن يدرك معنى ما يقول .
- هناك بعض المريدين يتركون أوراد الطريقة المجازة من قبل شيوخ طريقتنا ويبحثون عن أورادٍ أخرى ، إما أن يأخذوها من كتاب أو يسمعوها من أحد ، ويبدأون العمل بها ظناً منهم أن فيها زيادة قوة وبركة كما يظنون .

فلينتبه المريد أولاً وليعلم بأن : أوراد الطريقة لم يأت بها شيخ الطريقة من كتاب قرأه أو كلام سمعه من أحد ، بل هو ما نتج عن مجاهداته وجلوسه في الخلوات وتجرده لله تعالى ونبذه أمور الدنيا بالكلية ، فخلى قلبه بربه

وذهب عما سواه ، حتى فني فيه ، فصار سمعه وبصره ويده ، فنطق به ، وانمحت إرادته بإرادته ومات ثم أحيي ، فمنحه الله تعالى ، وأجازه الرسول الكريم ﷺ .

إن الشيخ يُلقن الذكر ، وهذا التلقين هو سر إجازة المريد في ورده ، فإذا لم يلقن لن يلقن ، وبدون هذا التلقين وهذه الإجازة فإنه يذكرها بجهل ولا تمنحه قوتها ولا تورث في قلبه شيئاً إلا انه يثاب على فعلها .

ولهذا فكل ورد أو ذكر أو دعاء بدون إجازة شيخ الطريقة لا نفع فيه للمريد ويؤدي بالمريد إلى مضار يخشى عواقبها ، فيجب الالتزام بالأوراد الواردة لنا بإجازة مشايخنا لا غير ، ففيها ما يكفي وما يفي لحاجة المريد القاصد سواء السبيل .

● يرى المريد بعض الرؤى أثناء مسيرته في ختمات الأوراد هذه ، فعليه أن يكتم ما يراه لحين التقائه بالشيخ ليحكي له الرؤية وعليه عدم طلب الإجابة عن تفسير رؤياه ، او ينتظر ليأتيه تأويلها روحيا من شيخه .

● يتلقى المريد بعض العلوم الروحية حين اجتهاده بالعبادة عليه كتمها لأن طريق القوم مبني على الإخفاء وعدم الإباحة وخصوصاً طريقتنا فتفريط كلمة واحدة يعني انه حول الباطن إلى ظاهر ، فإذا ما ظهرت عليه صفات باطنية دون إرادته وكتمها فإنه يؤجر على ذلك ويثاب لأنه ستر حرمات الطريقة .

آداب السماع

ومجالس المدح والإنشاد الصوفي

يرجع اهتمام أهل الطريقة لمجالس السماع وإنشاد المدائح النبوية الشريفة إلى المجالس التي كان يستمع فيها حضرة الرسول ﷺ إلى شاعره حسان بن ثابت ، فقد روي عن سيدتنا عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: كان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ ، فيقول الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ما نافحَ أو فاخرَ عَنْ رسول الله ﷺ ﴾ [1] .

وعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال : ﴿ هو الكلامُ حَسنهُ كَحسنُ الكلام وقَبيحهُ كقبيح الكلام ﴾ [2].

وقد انشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله ﷺ :

ولا خيرَ في حُكم إذا لم يكن لــه   بوادر تحمي صَفوه أن يُكدرا
ولا خير في أمرٍ إذا لم يكن لــه   حكيمٌ إذا ما أوردَ الأمر أصدرا

فقال ﷺ : ﴿ أحسنت يا أبا ليلى لا يفض الله فاك ﴾ فعاش النابغة أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغراً [3].

وتكمن أهمية السماع للقصائد الدينية في وجد الرسول ﷺ وتمايل جسده

١- أخرجه الترمذي برقم (٢٨٤٦) ، وأحمد (٧٢/٦) ، وأبو داود في رقم (٥٠١٥) .

٢- أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن (ج٨ /٤٧٦٠) ، وذكره الهيثمي (١٣٣١٧/٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٣٩/١٠) .

٣ – السيد الشيخ محمد الكسنزان – الطريقة العلية القادرية الكسنزانية – ص ٣٤٢ .

النوراني لدرجة سقوط البردة المباركة عن كتفه الشريف عند سماعه الأبيات الآتية :

يا من يُحب أنين العبد والندم	يا من لديه دواء الداء والسقمِ
نام العيون وعين العبد ساهرة	تبكي ببابك وسط الليل في الظلمِ
لا تقطعن رجائي فيك يا صمدي	يا غافر الذنب للراجين بالكرمِ
ارحم بفضلك لا تنظر إلى عملي	إن الكريم كثير العفو عن خدمِ

ويروى انه ﷺ لم يلبس بردته تلك بعد ذلك وتم تقسيمها بين الصحابة تبركاً[1] .

وروي انه سُمع سعد بن أبي وقاص ﷺ يتغنى بين مكة والمدينة فقال سليمان: سبحان الله !! أتفعل هذا وأنت محرم ؟

فقال سعد : يا ابن أخي ، وهل تسمعني أقول هجرا[2] .

وروى عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مرَّ ببعض المدينة فإذا هو بجوارٍ يضربن بالدفوف ويتغنين ويقلن :

نحنُ جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال النبي ﷺ : ﴿ الله يعلمُ إني لأحبكُنَّ ﴾ [3].

وقد أجاز الإمام القشيري ﷺ : السماع مستنداً في ذلك إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فيقول في تفسير الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

---

١ - المصدر السابق - ص ٣٣٨ .

٢ - هجراً : هذيان وقبيح من القول (المعجم العربي الأساسي - ص ١٢٥٤) .

٣ - سنن ابن ماجه - ج١ ص ٦١٢ - رقم ١٨٩٩.

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[1] : إن الله ذكر القول على وجه العموم ومعنى العمومية أنَّ الغناء متضمن في القول لذلك فهو جائز ولا حرمة فيه أما الأشعار فمن الثابت أنها أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ وانه سمعها ولم ينكرها ، فإذا جاز سماع الشعر بغير لحن فيجوز كذلك الحكم بأن تسمع الألحان ، ويروي القشيري في حفر الخندق أنَّ الأنصار كانوا يحفرون فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فأجابهم الرسول ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فأكرم الأنصار والمهاجره

ولهذا لما سئل الشيخ الجنيد البغدادي رضي الله عنه عن السماع قال : كل ما يجمع القلب بالله فهو جائز .

وقال أبو طالب المكي : إن طَعناً على السماع طَعناً على سبعين صديقاً .

ومن الفوائد الروحية للسماع ما ذكره الشيخ السري السقطي رضي الله عنه حين قال : تطرب قلوب المحبين إلى السماع ، وتخاف قلوب التائبين ، وتلتهب قلوب المشتاقين ، وقيل للنصراباذي : انك مولع بالسماع !

فقال : نعم هو خير من أن تقعد وتغتاب [2] .

إن سماع المريدين إلى المدائح النبوية الشريفة ومناقب مشايخ الطريقة المنيفة ، يؤدي إلى إثارة كوامن النفوس ، وتهييج مكنونات القلوب ، بما فيها من الأنس بالحضرة القدسية ، والشوق إلى الأنوار المحمدية، فالسماع يثير

---

١ – الزمر : ١٨ .

٢ – الشيخ أبو النجيب ضياء الدين السهروردي – آداب المريدين – ص ٩٢ .

أحوالهم الحسنة ، ويظهر وَجْدَهم ، ويبعث ساكن الشوق ويحرك القلب ، ولما كانت قلوبهم بربهم متعلقة ، وعليه عاكفة ، وفي حضرة قربه قائمة .

فالسماع يسقي أرواحهم ، ويسرع في سيرهم إلى الله تعالى ، لأنه انفعال روحي مع الحال الذي تُكوّنه أجواء الذكر المفعمة ببركات المشايخ الوفيرة التي تعم الذاكرين جميعاً، حيث ينتقل المُريدون إلى عوالم جديدة من الغبطة والحضور ، قال تعالى : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ ﴾[١]، فيتمايلون يميناً وشمالاً ويقومون بحركات غير إرادية ناتجة عن الجذبة الحاصلة من سمو أرواحهم والتقائها بأرواح المشايخ وتلقي الفيض الرباني منها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[٢] .

وقد سئل الشيخ الجنيد ﷺ : ما بال الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطرب ؟

فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾[٣] ، استغرقت عذوبة سماع الكلام والأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذلك[٤] .

من هنا أكد الإمام الغزالي على قيمة هذا الانفعال الإنساني تجاه الجمال بشتى صوره وألوانه فقال : من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج [٥] .

---

١ – آل عمران : ١٧٠ .

٢ – الإسراء : ٣٦ .

٣ – الأعراف : ١٧٢ .

٤ – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٢٦٤ .

٥ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين – ج ٢ص ٢٥٤ .

ولهذا على المريد ان يطلع على الآداب الخاصة بهذه المجالس وان يحاول الالتزام بها لتعم الفائدة الجميع وهي :

- على المريد أن يشارك المداحين خصوصا في قصائد مدح الحضرة المحمدية المطهرة لأن مدح الرسول ﷺ وذكره بصوتٍ عالٍ مما تعم به البركة وتتنزل به الرحمة وقد قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ جَعلتُ ذِكرَكَ ذِكري وحُبكَ حُبي ﴾ [1] .
- أن يكون مصغياً ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد ، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره .
- أن يوافق إشارات الشيخ في الهدوء والسكينة أو القيام إذا قام للدعاء أو للذكر ، وان لا يغيب عن النظر إلى الشيخ دائماً .
- أن يكون متحفظاً عن الحركة التي تشوش على أصحابه قلوبهم كالقيام من غير سبب موجب أو شق الصفوف للجلوس في مكان متقدم على الآخرين وغيرها ، فيكون ساكن الظاهر، هادئ الأطراف متحفظاً عن التنحنح والتثاؤب ، متماسكاً عن سائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة ، ساكناً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ، ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه .

---

١ – الشيخ أحمد بن قاسم البوني – مخطوطة الترياق الفاروق في وظيفة الشيخ الزروق – ورقة ١٨ أ ، وذكره أحمد القسطلاني في المسالك .

● على الشعراء والمداحين أن يلتزموا خلال تنظيم القصائد التي تُسمع في مجلس الشيخ أو داخل التكية أن تقتصر على ذكر الله تعالى والحضرة المحمدية المطهرة وأسماء أئمة ومشايخ سلسلة الطريقة الكسنزانية فقط ، وذلك لأن ذكر أسماء لمشايخ وأولياء من غير السلسلة الخاصة بالطريقة يقطع المدد ، مما يجلب الوحشة في قلوب المريدين ويذهب ببركة مجلس المدح والإنشاد الصوفي .

● عدم كتابة البسملة أو اسماً من أسماء الله الحسنى أو اسم الرسول الكريم ﷺ أو أسماء مشايخ الطريقة على الدف أو الطبلة ، لأنها قد تكون معرضة للإلقاء كيفما اتفق ، وحين يضربون الدفوف أثناء الذكر يضربون بقوة على هذه الأسماء وهذا مخالف لآداب الذكر ومجالس السماع ، وإذا كان لابد من الكتابة فينبغي أن تعلق هذه الدفوف التي كتبت عليها تلك الأسماء الشريفة في التكية تبركاً .
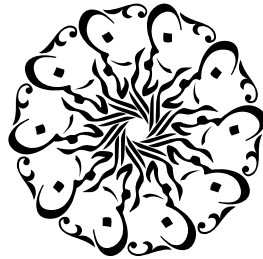
آداب المريد مع الإخوان

قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ﴾[1] .

وقال ﷺ : ﴿ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ﴾ [2] .

فعلى المريد آداب مع أخوانه وأقرانه نوجزها بما يلي :

- ينبغي لمن قام متعبداً أن لا يرى نفسه على أحد من إخوانه الذين ينـــبههم وقت السحر بل يرى نومهم أخلص من عبادته .
- عليه مراعاة المريدين المبتدئين صغاراً أو كباراً والصبر علـــى بعــض تصرفاتهم لحين تطبعهم وعدم جرهم إلى علوم أرقى من مرحلتهم أو مطـــالبتهم بالرياضات والسلوك في بداياتهم خشية نفورهم وتراجعهم القهقري .
- أن لا ينظر لهم أبداً إلى عورةٍ ظهرت ولا إلى زلـــةٍ ســـبقت ، إذ هـــو معرض للوقوع بمثلها وعليه أن يدله على من يصلح حاله وزلته لأنه ليس هـــو مُعَد لإصلاح غيره وإنما هو مشغول بإصلاح نفسه فقط ليخرجها عن رعونتها .

قال الشيخ الحسن البصري : والله لقد أدركنا أقواماً لا عيوب لهم فتجسســـوا على عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوباً .

وكان يقول : إذا بلغكم عن أحد زلة ولم تثبت عند حاكم فلا تعيـــروه بـــذلك وكذبوا من أشاعها عنه ، لاسيما إن كان هو ينكر ذلك ، ثم إن ثبت حقاً فإيـــاكم

---

١ - صحيح مسلم - ج٤ ص ١٩٩٩- رقم ٢٥٨٦ .

٢ - صحيح البخاري - ج١ ص ١٨٢- رقم ٤٦٧ .

أن تعيروه أيضاً فلربما عافاه الله وابتلاكم .

● وعليه أن ينفق على نفسه وعلى إخوانه كلما فتح الله تعالى به عليه من الحلال أولاً فأول ولو كانت فجلة أو خيارة ولا يعود نفسه الاختصاص بشيء عن إخوانه مطلقاً فإن من آثر نفسه على إخوانه في الشهوات لم يفلح أبداً .

● التواضع لهم والإنصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ سَيِّدُ القَوْمِ خادِمهُم ﴾[1] .

● على المريد أن يرى نفسه دون كل مريد .

قال أحدهم : من أراد أن يصير الوجود كله يمده بالخير فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم في الدرجة لأن المدد الذي في الخلق كالماء لا يجري إلا في المواضع المنخفضة دون العالية أو المساوية . فمن رأى نفسه مساوياً لجليسه فمدده لا يجري إليه بل واقف أو أعلى منه فلا يصعد إليه ذرة من مدده ، ومن وصية الشيخ أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه لأصحابه وهو محتضر : مَن تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فإن مّد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله وكونوا آخر شعرة في الذنب فأن الضربة أول ما تقع بالرأس[2]، وضرب مثلاً نخلة البلح وثمارها وشجرة اليقطين لما وضعت خدها على الأرض ولو حملت مهما حملت لا تحس بثقله تذكرة لأولي الأبصار وكان كثيراً ما يقول من لم يكن له خد يُداس لم تكن له يد تُباس .

---

١ – المناوي – فيض القدير شرح الجامع الصغير – ج٤ ص١٢٢ .

٢ – الإمام الشعراني – الطبقات الكبرى – ص١٤١.

● ومن شأنه أن يراعي غفلة إخوانه عن الذكر في التكية فيذكر الله تعالى وحده في وقت غفلتهم لتنزل الرحمة على إخوانه فيحسن إليهم بذلك ويكتب له أجر عظيم .

● الامتناع عن غيبة أحد من إخوانه وحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ، فلا يغتاب أحداً منهم ، ولا ينقص أحداً ، لأن لحومهم مسمومة كلحوم العلماء والصالحين [1].

● ومن شأنه أن يراقب قلبه من جهة إخوانه فمهما رأى عنده تغيير وتشويش من أحد من المسلمين فليرجع على نفسه باللوم ويتهم نفسه بالكبر والنفاق وليسع في إزالة ذلك من قلبه ، ويقدم العذر لأخيه فيما وقع معه قياماً بواجب حق الأخوة.

قال أبو بكر الكتاني (رحمه الله) : صحبت رجلاً وكان على قلبي ثقيلاً فوهبت له شيئاً بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوتُ به يوماً وقلت له ضع رجلك على خدي فأبى فقلت له لابد من ذلك فزال ما كنت أجده في باطني .

● نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم ، وتقوية ضعيفهم .

وللنصيحة شروط ينبغي التزامها ، وهي ثلاثة للناصح ، وثلاثة للمنصوح .

فشروط الناصح : أن تكون النصيحة سراً ، أن تكون بلطف ، أن تكون بلا استعلاء ، أما شروط المنصوح : أن يقبل النصيحة ، أن يشكر الناصح ، أن يطبق النصيحة [2] .

---

١ – عبد القادر عيسى – حقائق عن التصوف – ص ٦٨ .

٢ – المصدر السابق – ص ٦٨ .

● إظهار التسامح معهم والصفح عن عثرات الإخوان وترك تأنيبهم عليها وقبول عذرهم إذا اعتذروا عنها لقوله ﷺ : ﴿ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ﴾ [1] .

وقال الفضيل بن عياض : « الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان »[2] .

وقال ابن الأعرابي : « تناسَ مساوئ الإخوان يدم لك ودّهم »[3] .

● حسن الظن بالإخوان وحمل كلامهم على أحسن الوجوه ما وجدت إلى ذلك من سبيل ، وشهود الصفا فيهم واعتقاد كمالهم فلا ينقص أحداً ولو رأى منه ما يوجب النقص في الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذر فليلتمس له سبعين عذراً فإن لم يزل عنه موجب نقصه ، فليشهده في نفسه فالمؤمن مرآة أخيه ما كان في الناظر يظهر فيه ، فأهل الصفا لا يشهدون إلا الصفا ، وأهل التخليط لا يشهدون إلا التخليط ، وأهل الكمال لا يشهدون إلا الكمال ، وأهل النقص لا يشهدون إلا النقص ، قال ﷺ : ﴿ خصلتانِ ليسَ فَوقَهما شَيء مِنَ الخيرِ حسنُ الظنِّ باللهِ وحسنُ الظنِّ بعبادِ اللهِ وخصلتانِ ليسَ فوقهما شيء من الشرِ سوءُ الظنِّ باللهِ وسوءُ الظنِّ بعبادِ اللهِ وباللهِ ﴾ [4] .

● أن يجتهد في عشرة أهل الخير وطلاب الآخرة وأن يجانب طلاب الدنيا فإنهم يدلونه على طلبها ومنعها وذلك يبعده عن نجاته ويقظته عنها .

---

١ – سنن الترمذي – ج ٩ ص ٣٩ – رقم ٢٤٢٣ .

٢– الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ١٠٧

٣ – أبو البركات الغزي – آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوّة – من موقع رباط الفقراء .

٤ – العراقي – تخريج أحاديث الإحياء – ج ٤ ص ٤٧٨ – ذكره صاحب الفردوس من حديث علي .

عن ابن عباس ﷺ قال : قيل : يا رسول الله من نجالس ؟ .

أو قال : أي جلسائنا خير ؟

قال ﷺ : ﴿ مَنْ ذكَّركُم الله رؤيته ، وزادَ في علمكُم مَنطقــه ، وذَكَّــركُم بالآخرة عَمَلَه ﴾ [1] .

● أن يفي بوعوده لهم ولا يحنــث معهــم ، قــال الثــوري رحمــه الله : « لا تعد أخاك وتخلفه فتعود المحبة بغضة »[2] .

● إذا خص المريدون ببعض العلوم الروحية نتيجة مجاهداتهم وإخلاصــهم فإنهم غير مسموح لهم بإيصال ما توصلوا إليه إلى عامة المريدين لأنهم خصــوا بذلك لينتفعوا به وحدهم ، ولأن كل مريد مطالب أن يصل إلى تخصصه بنفســه ولا يتعلمه من أحد ، ولا يقلد أحداً في حاله إذ الأمور الروحية غير قابلة للتقليد .

● أن لا يبرر إيذاءه لإخوانه بتفسيرات روحيــة لان المشــايخ لا يــأمرون المُريد إلا بالمعروف ، وهم وحدهم كفيلون بمحاسبة الخاطئ أو إعفائــه لقولــه تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

● من أدب المريدين مع بعضهم بعضاً : الإحسان ، والكلام اللين ، والمودة ، سيما عند زيارة بعضهم بعضاً ، فإنها تتأكد عليهم شرعاً ، لأن زيارة أهل الفضل بعضهم بعضاً بنيةٍ سبب في فيض المدد الرباني ، والمعنى

---

١ – مسند أبي يعلى – ج ٤ ص ٣٢٦ – رقم ٢٤٣٧ .

٢ – أبو البركات الغزي – آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوّة – من موقع رباط الفقراء .

٣ – النحل : ٩٠ .

متوقف على الحس لا محالة ، فلا بد من حمل شيء من الحس لتأخذ المعنى ، أعني : الزيارة ، وذلك ما يسهل من غير حرج ، في ذلك ، ومن لم يجد فحزمة من الحطب [1] .

● الصبر عند أذية الأخوان فالتعرض للأذية جائز عند القوم ، بل هو مطلوب ، لأنه موجب لصفاء قلوبهم ، وموت نفوسهم . وقد جاء في تحمل الأذى والصبر عليه فضل كبير ، وخير كثير ، وهذا فيمن أصابه شيء من ذلك قهراً عليه ، فكيف بمن رضي بذلك ، وتعرض له اختياراً منه ، وقد قال ﷺ : ﴿ أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمْضَمٍ ؟ ﴾

فقالوا : وما كان أبو ضمضم يا رسول الله ! ؟

فقال : كان إذا أصبح وأراد الخروج من داره ، قال : ﴿ اللَّهمَّ إني تَصدَّقتُ بِعرضي على عِبادِكَ ﴾ [2] .

● عدم الإنكار على الإخوان : منه وصية الشيخ إبراهيم الدسوقي «لا تنكروا على أخيكم حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا شرابه فإن الإنكار يورث الوحشة والانقطاع عن الله تعالى والإنكار على أحد إلا أن ارتكب محظوراً صرحت به الشريعة المطهرة فإن الناس خاص وخاص الخاص ومبتديءٌ ومنتهٍ ومتشبه ومتحقق والقوي لا يقدر أن يمشي مع الضعيف وعكسه والله تعالى يرحم البعض بالبعض .

ومن كلام سعيد بن المسيب : ما من شريف ولا ذي فضل إلا وفيه نقص ولكن من كان فضله أكثر من نقصه وهب فضله لنقصه [3] .

---

١ – الإمام محمد بن أحمد البوزيدي – الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية – ص ٢٦٨ .

٢ – المصدر نفسه – ص ١٣٥ .

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٦ .

● من حق الأخ على الأخ أن يرجوا له من الخير والمسامحة وقبول التوبة ولو فعل من المعاصي الإسلامية ما فعل كما يرجوا ذلك لنفسه [١].

● واجب الأخ على الأخ أن يتعامى عن عيوبه فقد قال المشايخ : من نظر إلى عيوب الناس قل نفعه وخرب قلبه .

وقالوا : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس خبيراً بها فاعلموا أنه قد مكر به .

وقالوا : من علامة الاستدراج للعبد نظره في عيوب غيره وعماه من عيوب نفسه.

وقالوا : ما رأينا شيئاً أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب ولا أسرع في هلاك العبد ولا أقرب من المقت ولا ألزم بحجة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة العبد بعيوب نفسه ونظره في عيوب الناس ، ومن حق الأخ على الأخ أن يحمل ما يراه منه على وجه من التأويل جميل ما أمكن فإن لم يجد تأويلاً رجع على نفسه باللوم [٢].

● وعليه الستر على الأخوان وأن لا ينظر له إلى زلة سبقت ولا يكشف له عورة سترت ، وفي الحديث : ﴿ مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا ﴾ [٣].

ومن حق الأخ على أخيه إذا اطلع على عيب فيه أن يتهم نفسه في ذلك ويقول : إنما ذلك العيب فيّ لأن المسلم مرآة المسلم ولا يرى الإنسان في

---

١ - المصدر السابق – ص ٦ .

٢ - المصدر نفسه – ص ٦ .

٣ - أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر .

المرآة إلا صورة نفسه وقد صحب رجل أبا إسحق إبراهيم بن ادهم فلما أراد أن يفارقه قال له : لو نبهتني على ما فيّ من العيب .

فقال له : يا أخي إني لم أر لك عيباً لأني لحظتك بعين الود فاستحسنت منك ما رأيت فسل غيري عن عيبك وفي هذا المعنى أنشد شعراً

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدى المساويا [(١)].

وقال المشايخ : كل من لم يستر على إخوانه ما يراه منهم من الهفوات فقد فتح على نفسه باب كشف عورته بقدر ما أظهر من هفواتهم [(٢)].

● وعليه أن لا يعير أخاه بذنب ولا غيره فإن المعايرة تقطع الود أو تكدر صفاه ومن كلام الشيخ الحسن البصري ﷺ : إذا بلغكم عن أحد زلة ولم تثبت عند حاكم فلا تعيروه بها وكذبوا من أشاعها عنه لا سيما ان كان هو ينكر ذلك لأن الأصل براءة الساحة حتى تقام البينة العادلة عند الحاكم ثم بعد ثبوت ذلك عنده فإياكم أن تعيروه أيضاً فربما عافاه الله وابتلاكم وفي الحديث : ﴿ مَنْ عَيَّرَ أخاهُ بِذنبٍ لم يَمت حتى يَعملَ ذلكَ الذنب ﴾ [(٣)] .

ومن كلام الشيخ علي وفا : لا تعاير أخاك بما أصابه من مصائب دنياك فإنه في ذلك إما مظلوم سينصره الله أو مذنب عوقب فطهره الله ومن الرعونة أن تفتخر بما لا تأمن سلبه أو تعير أحداً بما لا يستحيل في حقك وأنت تعلم أن ما جاز على مثلك جاز عليك وعكسه [(٤)].

---

١ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٧ .

٢ – المصدر نفسه – ص ٦ – ٧ .

٣ – أخرجه الترمذي دون قوله " قد تاب منه " وقال حسن غريب

٤ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٧ .

● أن لا ينظر لأخيه أبداً بعين احتقار فقد قال المشايخ : من نظر إلى أخيه بعين احتقار عوقب بالذل والخزي . وفي الحديث : ﴿ مَنْ نَظَرَ إلى أخيهِ نظرةَ وُدٍ غفرَ اللهُ لهُ ﴾ [١] .

● ومن حق الأخ على الأخ أن يكرمه إذا ورد عليه بأن يتلقاه بالترحيب وطلاقة الوجه ويأخذه بالعناق إن كان رجلاً ويفرش له شيئاً يقيه من التراب [٢].

● ومن حق الأخ على الأخ أن يوسع له في المجلس إذا رآه فإن ذلك مما يزيد في تقوية المدة وفي الحديث : ﴿ أن للمسلمِ حقاً إذا رآه أخوهُ أن يتزحزحَ لهُ ﴾ [٣] .. [٤].

● ومن وصية بعضهم : إذا ناديت أخاك فعظمه تثبت مودته ، ومن الجفا للأخ نداؤه الخالي عن الكنية واللقب ولفظ السيادة وكذلك أولاده وأحفاده غيبةً وحضوراً [٥].

● الزيارة للإخوان تزيد في الدين وتركها ينقصه لإنها كتلقيح النخل وقد قال القوم : إذا قل رأس مالك فزر إخوانك [٦].

● ومن حق الأخ على الأخ أن يصافحه كلما لقيه بنية التبرك وامتثال

---

١ – كشف الخفاء – ج ٢ ص ٢٨٣ – رقم ٢٦٣٨ ، رواه الحكيم عن ابن عمرو

٢ – المصدر نفسه – ص ٨ .

٣ – الزهد لهناد – ج ٢ ص ٤٩٨ – رقم ١٠٢٥ ورد بهذا اللفظ : (إن للمسلم على المسلم من الحق أن إذا رآه يتزحزح له)

٤ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٨ .

٥ – المصدر نفسه – ص ٨ .

٦ – المصدر نفسه – ص ٩ .

الأمر ، وقد روى الطبراني : ﴿ إِذَا تَصَافَحَ الْمُسْلِمَانِ لَمْ يفترقا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمْا ﴾ ، وروى أبو الشيخ : ﴿ إذا التقى المسلمان وسلَّم أحدهما على صاحبهِ كانَ أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبهِ فإذا تَصافحا أنزلَ اللهُ عليهما مائة رحمة ﴾ .

ومن حق الأخ على الأخ إذا لاقاه وصافحه أن يصلي ويسلم على النبي ﷺ ويذكره بذلك وقد روى أبو يعلي ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما صاحبه ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر ومن حق الأخ على هذا الأخ أن يهاديه كل قليل من الأيام لا سيما إذا بلغه أن عنده منه وقفة وفي الحديث : تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغل عنكم [١].

● ومن حق الأخ على الأخ أن يكتم سره إذ السر كالعورة وقد حرم كشفها والنظر إليها والتحدث بها وفي الحديث : ﴿ مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ ﴾ [٢] .

ومن وصية الشيخ أبي المواهب الشاذلي : إحذر أن تفشي سر أخيك إلى غيره فإن الله ربما مقتك بذلك فخسرت الدنيا والآخرة [٣].

● ومن حق الأخ على الأخ أن لا يصدق من نم له فيه أبداً وقد ذكر حجة الإسلام الغزالي أنه يجب على كل من حملت إليه نميمة ستة أمور :

الأول : أن لا يصدقه أي النمام

---

١ – المصدر السابق – ص ٩ .

٢ – سنن ابن ماجه – ج ٢ ص ٨٥٠ – رقم ٢٥٤٦ .

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ١٢ .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك

الثالث : أن يبغضه في الله

الرابع : أن لا يظن بالمنقول عنه السوء

الخامس : أن لا يتجسس على تحقيق ذلك

السادس : أن لا يحكي ما نم له أبداً

ومن كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي : إذا نقل إليك أحد كلاماً عن صاحب لك فقل له : يا هذا أنا من صحبة أخي ووده على يقين ، ومن كلامك على ظن ولا يترك يقين بظن .

ومن كلام الشيخ أفضل الدين : إذا نقل إليكم أحد كلاماً في عرضكم عن أحد فازجروه ولو كان من أعز إخوانكم وقولوا له : إن كنت تعتقد فينا هذا الأمر فأنت ومن نقلت عنه سراً بل أنت أسوء حالاً منه لأنه لم يسمعنا ذلك وأنت أسمعته لنا وإن كنت تعتقد أن هذا الأمر باطل في حقنا وبعيد منا أن يقع في مثله فما فائدة نقله لنا ، فمن أراد أن يدوم له ود صاحب فليرد كلام النمام ببادي الرأي [1].

● ومن حق الأخ على الأخ أن لا يداهنه ففي الحديث عن النبي ﷺ : ﴿ الدِّينُ النَّصِيحَةُ ﴾ [2]

وقال القوم : الإخوان بخير ما تناقشوا فإذا اصطلحوا هلكوا .

ومن الفرق بين المداهنة والمدارات أن المدارات ما أردت به صلاح أخيك والمداهنة ما قصدت به شيئاً من الحظوظ النفسانية [3].

---

١ – المصدر السابق – ص ١٢ .

٢ – صحيح مسلم – ج ١ ص ١٨٢– حديث ٨٢ .

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ١٢ – ١٣ .

● من حق الأخ على الأخ أن يقبل نصحه فقد قالوا : من أرشدك إلى ما به تخلص من غضب الحق تعالى فقد شفع فيك فإن أطعته وقبلت نصحه فقد قبلت فيك شفاعته فنفعتك [١].

● ومن حق الأخ على الأخ أن يقوم له إذا ورد عليه ولو كره هو ذلك لا سيما في المحافل فقد قالوا : إياك أن تترك القيام لأخيك في المحافل فربما تولد من ذلك الحقد والضغائن فتعجز بعد ذلك عن إزالته [٢].

● ومن حق الأخ على الأخ إذا تحدث أن يشخص ببصره إليه حتى يفرغ من حديثه فإن ذلك يزيد في صفاء المودة كما أن التلاهي عن حديث الأخ أو قطع كلامه قبل إتمامه يورث الجفاء [٣].

● ومن آدابهم إذا سئل أحدهم عن شيخه أن يقول : كنت خادمه أو من المترددين إليه ولا يقول كنت صاحبه فإن مقام الصحبة عزيز إذ صاحب الإنسان هو من يشرب من بحره [٤].

● على الإخوان أن لا يقولوا إذا رأوا أحداً في ضيق مسكين هذا ما كان يستحق ذلك وهذا يستحق ذلك ، لأن في الأولى : دعوى مقام في الرحمة فوق رحمة من قدر ذلك عليه ولا يخفى ما فيه ، وفي الثانية : إظهار شماتة بأخينا المسلم وقد نهينا عن ذلك فالأدب سؤال الرب في اللطف به والتفريج عنه بالعفو والصفح فإنه تعالى لم ينزل بعبده عقوبة إلا جزاءً لعملٍ سابق [٥].

---

١ – المصدر السابق – ص ١٣ .

٢ – المصدر نفسه – ص ١٤ .

٣ – المصدر نفسه – ص ١٤ .

٤ – المصدر نفسه – ص ١٧ .

٥ – المصدر نفسه – ص ١٧ .

• ومن آدابهم : أنهم لا يسألون الله شيئاً من أمور الدارين إلا مع التفويض ورد العلم إليه سبحانه عملاً بعموم قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) فيقول أحدهم في سؤاله اللهم أعطني كذا وكذا إن كان فيه خير لي واصرف عني كذا وكذا إن كان فيه شر لي ومن وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ : إحذر أن تسأل الله شيئاً إلا مع التفويض وأما إذا أعطاك تعالى شيئاً من غير سؤال فذلك مبارك وعاقبته حميدة وليس عليك فيه حساب إن شاء الله تعالى لكونه جاء من غير استشراف نفس (٢).

• ومن آدابهم عدم الاشتغال بالنعمة عن المنعم إذ قبيح بالعبد أن يألف النعمة دون المنعم أو يميل إليها فإن الميل إلى كل شيء دون الله مذموم إلا في حقوق الله ومأموراته وفي وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ : إياك أن تشتغل بما أعطاك الحق سبحانه من المال فيحجبك بذلك عنه وربما سلبك ذلك المال عقوبة لك وإن اشتغلت بطاعته عن ذلك المال كان من المال المحمود لا المذموم (٣).

• ومن آدابهم عدم شكواهم إلى الخلق ما يصيبهم من بلاء ومحنة وغير ذلك ومن وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ : إحذر أن تشكو ربك وأنت معافى في بدنك أو لك قدرة على تحمل ذلك البلاء بالقدرة التي قواك بها فتقول : ليس عندي قدرة ولا قوة أو تشكوه إلى خلقه وعندك نعمة ما أنعم بها عليك وتقصد

---

١ – البقرة : ٢١٦ .

٢ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ١٩ .

٣ – المصدر نفسه – ص ١٩ .

بتلك الشكوى الزيادة مع خلقه وأنت متعام عما له عندك من العافية والنعم فاحذر من الشكوى للخلق جهدك ولو تقطع لحمك فإن أكثر ما ينزل بابن آدم البلاء من جهة شكواه وكيف يشكو العبد من هو أرحم به من والدته الشفيقة [1].

● ومن آدابهم محبة إخوانهم المسلمين محبة إخوان وإيمان لا محبة طمع وإحسان ومن وصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت مكروهة فيهما فاكرهه وإن كانت محبوبة فيهما فاحببه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [2] .. [3].

١ – المصدر السابق – ص ٢٠ .

٢ – سورة ص : ٢٦

٣ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٢٤ .

- ومن آدابهم لا يصرون على ذنب فإن الإصرار من المهلكات وتصير الصغيرة به كبيرة وقد حد بعض الأشياخ الإصرار بأن يؤخر الشخص التوبة حتى يدخل عليه وقت صلاة أخرى من الخمس [١].
- ومن آدابهم شدة كراهتهم النوم على حدث أكبر أو أصغر .

ومن كلام الشيخ علي الخواص رحمه الله : إياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا أو شهواتها فربما أخذ الله تعالى بروحك تلك الليلة فتلقى الله وهو عليك غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذي نمت عليه . وفي الحديث ﴿ **المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** ﴾ [٢] وفي الحديث أيضاً ﴿ **إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا ، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها** ﴾ [٣] أي نظر رضى عنها وعن محبيها وإلا فهو تعالى ينظر إليها نظر تدبير ولولا ذلك لذهبت في علم الله تعالى ولم يبق لها وجود فافهم فمن نام على محبة الدنيا ومات في تلك النومة حشر مع مبغوض لله تعالى لم ينظر إليه مذ خلقه وهذا الأمر قل من يتنبه له في هذا الزمان حتى يتوب منه بل غالب الناس لا يعد محبة الدنيا ذنباً وقد كان مالك بن دينار يجمع أصحابه ويقول لهم تعالوا نستغفر الله من الذنب الذي أغفله الناس وهو حب الدنيا [٤].

---

١ – المصدر السابق – ص ٢٧ .

٢ – المستدرك على الصحيحين – ج ٤ ص ١٨٨ – رقم ٧٣١٩ .

٣ – شعب الإيمان للبيهقي – ج ٢١ ص ٤٣١ – رقم ١٠١١٠ – فصل فيما يقول العاطس

٤ – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٣٠ – ٣١ .

● ومن آدابهم العمل على تصفية صدورهم من الغـش ليصـلحوا لـدخول الحضرة الإلهية التي هي أشرف وأفضل من الجنة فإن دخولها محرم على مـن في قلبه غش لأحد من الخلق وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ ﴿ يا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصبِحَ وتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ ﴾ (١) .

● ومن آدابهم رؤيتهم نفوسهم في كل مجلس جلسوا فيه مع المسلمين لا سيما الفقراء أنهم أكثرهم ذنوباً (٢).

---
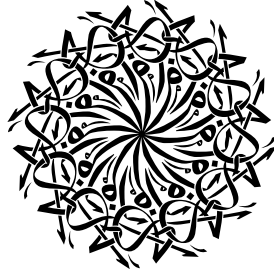
١ - سنن الترمذي - ج ٥ ص ٤٦ – رقم ٢٦٧٨ .

٢ - الشيخ عبد الوهاب الشعراني - مخطوطة الأنوار في التصوف – ص ٣٤ .

آداب الطعام والشراب

إن تناول الطعام يشتمل على مصالح دينية ودنيوية كثيرة ، فآثاره تتعلق بالقالب (البدن) وهو مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة . ولهذا فعلى المريد مراعاة الآداب التي تقوم سلوكه الروحي والاجتماعي في هذا الشأن وتلك الآداب هي :

- الوضوء أو غسل اليدين قبل الطعام لقوله ﷺ : ﴿ الْوُضُوءَ قَبْلَ الطَّعَامِ ينفي الفقر وبعدهُ يَنْفي اللمم ويصحُّ البصرَ ﴾ [1] إذ في ذلك استقبال النعمة بالأدب .
- أن يبدأ بالبسملة قبل الأكل فإن نسي أن يقول في أوله فليقل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ﴾ [2] وفي نهاية الأكل أو الشرب الحمد لله .
- حضور القلب في الطعام وكان أحدهم يقول : (أنا آكل وأصلي) ويشير إلى حضور القلب في الطعام .
- يستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في التكية إذ قال ﷺ : ﴿ اجتمعوا على طعامِكم يُبارِكَ لَكم فيه﴾ [3].
- أن لا يأكل إلا بعد جوع ويُمسك عن الطعام قبل الشبع ، قال ﷺ :

---

١ - القضاعي - مسند الشهاب - باب الوضوء قبل الطعام وبعده - ج ١ ص ٢٠٥ .

٢ - السنن الكبرى - ج ٤ ص ١٧٤ - رقم ٦٧٥٨ .

٣ - أخرجه أبو داود وابن ماجة .

﴿ ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ﴾ [1] .

● قال الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ : ومن الأدب أن لا يكثر النظر إلى وجوه الآكلين ؛ لأنه مما يحشمهم وَغَضٌّ بَصَرِهِ عَنْ جَلِيسِهِ [2].

● يكره أكل البقلة الخبيثة وهي الثوم والبصل والكراث لكراهة ريحه[3] .

● أن لا يمسح يده بالخبز ولا يستبدله ولا يخلط طعاما بطعام [4] .

● أن لا يذم الطعام ، فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : ﴿ مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ كَانَ إِذَا اشْتَهَى طَعَامًا أَكَلَهُ ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ ﴾ [5] .

● وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلح عليه ، وكذلك إذا دعوته فكره ، فقد قالوا : لا تكره أخاك بما يشقّ عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فإن الإلحاح واللجاج ما زاد على ثلاث مرات وليس ذلك من الأدب ، وقالوا : كان رسول اللّه ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث.

---

١ – السنن الكبرى – ج ٤ ص ١٧٧ – رقم ٦٧٦٨ .

٢ – غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – ج ٣ ص ٤٣ .

٣ – المصدر نفسه – ج ٣ ص ٣٥٢ .

٤ – المصدر نفسه – ج ٣ ص ٣٥٣ .

٥ – المصدر نفسه – ج ٣ ص ٣٥٣ .

آداب النوم

للنوم آداب على المريد مراعاتها :

- استحباب النوم على طهارة فإن كان متوضئا كفاه ذلك الوضوء ، لأن المقصود النوم على طهارة مخافة أن يموت في ليلته ، لقوله ﷺ : ﴿ مَنْ أَوَى إلى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ﴾[1]. وقوله ﷺ : ﴿ النائمُ الطاهرُ كالصائم القائم ﴾ [2] .
- إن استيقظ خلال نومه عليه أن ينهض ويعيد وضوءه وينام كي لا ينام إلا على طهارة .
- أن ينام تائباً من جميع الذنوب مستغفراً ، وان يعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثه الله تعالى .
- أن ينوي القيام جزءاً من الليل الأخير أو على القيام قبل الصبح : ركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك .
- أن ينام وهو في أسلوب الرابطة مع الشيخ كي يكون أنيسه القلبي في سفر النوم ، وهذه من أقوى الآداب للمريد وجناءُ ثمارها في وقتها .
- أن لا يأكل ولا يشرب قبل النوم مباشرة فإنها تُثقل القيام .
- أن يكون فراشه بسيطاً ، وأن يكون حلالاً ليس فيه شبهة .

---

١ – رواه الترمذي والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه .

٢ – رواه الحاكم والترمذي عن عمرو بن حريث مرفوعاً .

آداب المجالس

للمجالس آداب على المريد أن يراعيها ومنها :

- أن يختار المريد الجليس الصالح فإنه كحامل المسك ، وان يبتعد عن جليس السوء فهو كنافخ الكير .

- أن يفضل المجالس المخصصة لذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ومجالس العلم .

- إذا دخل المجلس فالآداب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس .

- إصغ إلى الكلام الحسن ممن حدّثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته ولا تُحّدث عن إعجابك بشيءٍ يخصك ، وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى ورائك وإذا هدأ غيظك فتكلم .

- الاستواء من الاتكاء عند ذكر الرسول ﷺ والأئمة الكبار والصالحين ، قال ابن عقيل في الفنون : مما وجدته في آداب أحمد أنه كان مستندا وذُكر عنده ابن طهمان ، فأزال ظهره عن الاستناد وقال : لا ينبغي أن يجري ذكر الصالحين ونحن مستندون [١] .

---

١ - الآداب الشرعية - ج ٢ ص ٨٩ .

آداب مجلس العلم

في مجلس العلم وبين أيدي العلماء على المريد أن يحافظ على الآداب الآتية :

- أن يبدأ العالم أو أستاذه بالتحية والسلام .
- أن يقلل بين يديه الكلام ويجعل أعظم وقته للإصغاء .
- أن لا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأل ما لم يستأذن أولاً .
- لا يقول في معارضة قوله : قال فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه .
- أن لا يسأل جليسه في مجلسه حتى لا يشوش على سماع وإصغاء الحاضرين .
- أن لا يلتفت إلى الجوانب ، بل يجلس ساكنا متأدباً ويجعل جل همه الفوز بالعلم المطلوب .
- أن لا يتكبر على العالم ولا يتأمّر على المعلم ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق.
- ينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان، لان العلم لا ينال إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [1] .

---

١ – سورة ق : ٣٧ .

- أن يختار معلمه أو أستاذه ليأخذ منه العلم وان تعدد المعلمين في فن واحد يدهش عقله ويحيّر ذهنه ويُفتِّر رأيه ويُيْئسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريق الحميدة الواحدة المرضية ، ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب.
- أن لا يخوض في كل فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم ، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ، وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم .
- أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران .
- إذا قام المعلم منصرفاً ، يقوم احتراماً له .

آداب الطريق

قال النبي ﷺ لأصحابه: ﴿ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوس فِي الطُّرُقَاتِ ﴾ .

فقالوا : ما لنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها.

قال ﷺ : ﴿ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ﴾ .

قالوا: وما حق الطريق؟

قال ﷺ : ﴿ غَضُّ الْبَصَرِ وكَفُّ الْأَذَى ورَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ ﴾ [1] .

ومن آداب الطريق التي ينبغي مراعاتها :

- غض البصر: المسلم يغض بصره عن المحرمات ، امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [2].
- إماطة الأذى: المسلم يميط الأذى كالحجارة أو الأسلاك أو الزجاج أو غيرها فيبعده عن الطريق، قال ﷺ : ﴿ ... وتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ﴾ [3].
- ويتجنب اللعب ، والمزاح غير المقبول ، ولا يسخر ممن يسير في الطريق ولا يستهزئ بهم ، ولا يضيق على المارة ، وإنما يفسح لهم الطريق ، وإن كان يحمل عصًا أو مظلة أو شيئًا يمكن أن يؤذي المسلمين ، فيجب أن

---

١ – صحيح البخاري – ج ٢ ص ٨٧٠ – رقم ٢٣٣٣ .

٢ – النور : ٣٠-٣١ .

٣ – صحيح مسلم – ج ٢ ص ٦٩٩ – رقم ١٠٠٩ .

يحترس في حمله حتى لا يؤذيهم، ولا يحرك يديه بعنف أثناء السير في الأماكن المزدحمة ، ولا يزاحم أثناء صعوده سيارات النقل العام .

● رد السلام : المسلم عندما يسير في الطريق يلقي السلام على من يقابله ، ويرد السلام بأحسن مما سمع .

● الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال ﷺ : ﴿ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ﴾ [1] .

● إعانة من لا يستطيع عبور الطريق أو السير؛ فيأخذ بيده، وإن كان له سيارة أو وسيلة يركبها فله أن يحمل معه غيره، ويرشد الضالَّ الذي فقد طريقه ، ويفضُّ المشاجرات التي يستطيع فضَّها والإصلاح بين أطرافها .

● الاعتدال والتواضع في المشي : المسلم يجعل مشيه وسطًا بين الإسراع والبطء ولا يمشي بخُيلاء أو تكبر، قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [3] .

● المحافظة على نظافة الطريق وتجنب رمي الأوساخ فيها، وحبذا لو تعاون الجميع على تنظيفها لقوله ﷺ ﴿ تنظفوا فانَّ الإسلامَ نظيفٌ ﴾ [4] .

---

١ – المصدر السابق – ج ١ ص ٦٩ – رقم ٤٩ .
٢ – لقمان : ١٩ .
٣ – الإسراء : ٣٧ .
٤ – كشف الخفاء للعجلوني – ج ١ ص ٣٤١ – رقم ٩٢٢ .

- الأدب عند السير مع الكبير : فلا يتقدم عليه، وليستمع إليـــه إذا تحـــدث ، كما أنه يمشي عن يساره ليكون له أولوية الخروج والدخول وغير ذلك .
- عدم رفع الصوت في الطريق : حتى لا يؤذي الســـائرين ، أو تتســـرب الأسرار ، ويتجنب المزاح غير المقبول مع رفقاء الطريق .
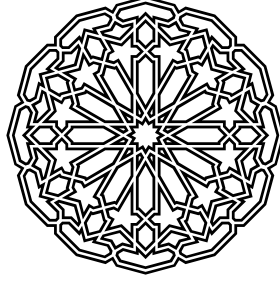
آداب المريد في العمل والكسب

إن الله تعالى جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التحمل والاضطراب والتشمر والاكتساب ، وبما أن العمل والكسب مما يساعد المريد على إعطاء العبادات حقها من الصفاء القلبي والنفسي والتفرغ لأدائها في أوقاتها فإنها عبادة بحسب القاعدة المعروفة : إن كل ما يستعان به على العبادة فهو عبادة .

وقد ذكر الله تعالى أهمية الكسب والمعاش في القرآن الكريم حيث قال : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [1] .

وقال ﷺ : ﴿ الأسواق موائد الله تعالى ، فَمَنْ أتاها أصابَ منها ﴾ [2].

وقال ﷺ : ﴿ مَنْ طلبَ الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهلهِ وتعطفاً على جارهِ ، لقي الله تعالى يوم يلقاهُ ووجههُ مثلَ القمرِ ليلة البدرِ ﴾ [3] .

وكان ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى ، فقالوا : ويح هذا ، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ، فقال ﷺ : ﴿ لا تقولوا هذا ، فإنه إنْ كانَ يَسعى على نَفسهِ ليكفلها عن المسألةِ ويغنيها عن الناسِ فهو في سبيلِ الله ، وإنْ كانَ يَسعى على أبوينِ

---

١ – الأعراف : ١٠

٢ – أورده الغزالي في الإحياء – ج٢ ص ٥٨ .

٣ – أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء – ج ٣ ص ١١٠ .

ضعيفينِ أو ذرية ضعاف ٍليغنيَّهم ويكفيَّهم فهو في سبيلِ اللهِ ، وإنْ كانِ يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيلِ الشيطانِ ﴾[1]

ويروى ان الشيخ إبراهيم بن ادهم رحمه الله ، ركب البحر في سفينة فهبت ريح عاصفة عليها، فقال أهل السفينة لإبراهيم لما رأوه غير عابىء بما يحصل : أما ترى هذه الشدة ؟ فقال: ما هذه الشدة، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس.

وللعمل والسعي في كسب الرزق آداب منها :

● ان يبتغي بعمله الكسب الحلال ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

وقال ﷺ : ﴿ أحلُّ ما أكل الرجلَ منْ كسبه ﴾[3] .

وأما الآثار، فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، وروي أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن أدهم (رحمهم الله) وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال له: يا أبا إسحق إلى متى هذا ؟ إخوانك يكفونك .

فقال : دعني عن هذا يا أبا عمرو، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة[4].

● الابتعاد عن سؤال الناس ، لما روي عن رسول الله ﷺ انه قال :

---

١ – أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة ، وأورده الغزالي في الإحياء .

٢ – المائدة : ٨٨

٣ – رواه البزاز والحاكم عن البراء بن عازب ، قيل : يا رسول الله أي الكسب أطيب ؟ قال : ﴿ عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ﴾ ، وأورده الغزالي في الإحياء .

٤ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين– ج٢ ص ٦٠ .

﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ﴾ [1] ، وقال ﷺ : ﴿ من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ﴾ [2].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » [3] .

وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر ﷺ : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم .

ولحضرة السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان ﷺ مقولة مشهورة تجمع بين العمل والتقوى ، فأنه دائما ما يعظ مريدي الطريقة قائلا : (عامل ودرويش ، طالب ودرويش ، موظف ودرويش ، فلاح ودرويش ..) ، ومعنى ذلك يجب التقيد بالمهنة الدنيوية والأعمال الأخروية معاً .

ولهذا نؤكد غالباً على أن : (وقت العمل للعمل ووقت الراحة للعبادة ، فاذا تعب المريد في العمل فراحته وقوته في ذكره وقيامه بين يدي ربه).

● على المريد ان يكون ملماً بالضوابط الشرعية في مجال عمله وتخصصه حتى لا يقع بمفاسد العقود والربى ، وغيرها .

روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض

---

١ - صحيح البخاري - ج ٢ ص ٥٣٥ - رقم ١٤٠١ .

٢ - رواه الترمذي من حديث أبو كبشة الأنماري .

٣ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - ص ٥٩ .

التجار بالدرة ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه .

● على المريد أن يكون مخلصا في العمل الدنيوي لأنه يورث الإخلاص في العبادة والعمل الأخروي ، ويجعل رقيبه عليه هو الله تعالى وان غاب رب العمل عنه .

● الابتعاد الكلي عن الغش لقوله ﷺ : ﴿ مَنْ غَشنا فليسَ منَّا ﴾ [1] .

● عليه أن يكون صادقاً في القول فيحفظ بذلك دينه ودنياه ، فالنجاة في الصدق .

● التسامح قدر الإمكان لأنه من صفات المؤمن لقوله ﷺ : ﴿ غفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى ﴾ [2] .

روي أن الحسن البصري ﷺ باع بغلة له بأربعمائة درهم ، فلما استوجب المال قال له المشتري : إسمح يا أبا سعيد .

قال : قد أسقطت عنك مائة .

قال له : فأحسن يا أبا سعيد .

فقال : قد وهبت لك مائة أخرى، فقبض من حقه مائتي درهم .

فقيل له : يا أبا سعيد ، هذا نصف الثمن .

فقال : هكذا يكون الإحسان وإلا فلا [3] .

● لا ينبغي للمريد الكاسب أن يشغله معاشه عن معاده، فيكون عمره ممن

---

١ – صحيح مسلم – ج ١ ص ٩٩ – باب ٤٣ – رقم ١٠١ .

٢ – سنن الترمذي – ج ٥ ص ١٤٩ – رقم ١٢٤١ .

٣ – الإمام الغزالي – إحياء علوم الدين– ج٢ ص ٧٧ .

اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه ، وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله، ورأس ماله دينه وتجارته فيه.

قال بعض السلف : أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل ، وأحوج شيءٍ إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل .

وقال معاذ بن جبل ﷺ في وصيته : « إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة ، فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [1] ، أي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة ، فإنها مزرعة الآخرة ، وفيها تكتسب الحسنات »[2] .

ولهذا نقول كما ورد في الأثر: « ليس الرجل رجل الدنيا ولا الرجل رجل الآخرة إنما الرجل رجل الدنيا والآخرة » .

---

١ - القصص : ٧٧

٢ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - ج٢ ص ٧٨ .

آداب عامة في الطريقة

• يقوم بعض الخلفاء بتجديد بيعة المريد الذي سلك العهد على يد خليفة آخر موكل من قبل الشيخ بإعطاء البيعة ظناً منه أن هذا التجديد يربط المريد به ويكون خليفةً له ، وهذه إساءة على آداب العهد والبيعة ، إذ لا علاقة للخليفة بالبيعة لأنها رابطة روحية بين المريد وشيخ الطريقة حصراً ، وتجديدها على يد الخليفة لا يعني الصلة مع الخليفة بشكل من الأشكال ، فليحذر بعض الخلفاء من هذه الحالات احتراماً للعهد وأدباً معه ، أما إذا حصل فتور عند المريد وجاء لسماع كلامه فيأمره أولاً بتجديد الأوراد والالتزام بنهج الطريقة ويحثه على مواصلة سيره ويحذره من الانقطاع .

• يحمل بعض المريدين بعض المصاحف في جيوبهم ويجلسون بين الناس أو يدخلون بها في أماكن الوضوء والطهارة ، لذا نحذر من هذا التصرف الذي لا يليق مع قدسية القرآن الكريم ، فإن في التكية أو في المسجد مصاحف يمكن القراءة فيها .

• على المريد الذي يضع القرآن الكريم في مكان طاهر ومرتفع ، وعليه تغطيته عند ممارسة المريد أعماله المشروعة مع زوجته تعظيماً لكتاب الله تعالى .

• على المريد تغليف سلسلة النسب الشريف والأوراد بالنايلون لأنها تحتوي على بعض الآيات القرآنية الكريمة .

الخاتمة

لا يحتاج المسلم في هذا الزمان – وفي كل زمان – إلى شيء أحوج منه إلى طريق مستقيم يكفل له السلامة في الدنيا والأمان في الآخرة ، وهـذا المقصد الإيماني هو من أسمى أهداف الطريقة العلية القادرية الكسنزانية التي كانت ولا تزال تسير بمريديها في طريق مكارم الأخلاق والآداب الإسلامية التي تحلى بها الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم وصالحوا الأمة في كل زمان ومكان ببركة الإتباع الكامل لحضرة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ .

وما تضمنته هذه العجالة هي في حقيقة الأمر أشبه ما تكون بقطرة من بحار الفضائل التي يشهدها ويتأدب بها من يصاحب الكاملين ، ويجتهد في الكون معهم حساً ومعنىً ، فلا إشارة تحيط بالآداب الربانية ، ولا عبارة تحصر الأخلاق المحمدية لعظمة مقامها وقدسية أحوالها ، أوليس القرآن العظيم خُلق رسولنا الكريم ﷺ ، وهل يمكن الإحاطة أو الحصر بما فيه من الفضائل والتنزلات ؟ ولكن ومن باب (ما لا يدرك جُله لا يترك كله) ، ومن باب التيسير لمريدي الطريقة جاءت هذه الآداب ، سائلين المولى جل وعلا أن ينفع بها جميع المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَالْحِكْمَةِ
وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

ترجمة حضرة
ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ٱلحسيني ﷺ
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية في العالم

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ ٱلرَّحيمِ

ٱلحمد لله وٱلصلاة وٱلسلام ٱلأتمان ٱلأكملان على حبيبه ومصطفاه ٱلوصف وٱلوحي وٱلرسالةِ وٱلحكمة وعلى آله وصحبه ومَن والاه .

أما بعد :- فأن ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنــزان ٱلحسيني ﷺ هو شيخ ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنــزانية في ٱلعالم .

وهو علم من أعلام ٱلعراق وٱلعالم ٱلإسلامي ، ونجم من نجوم ســماء أهــل ٱلفكر وٱلعرفان لا لكونهِ شيخ طريقة صوفية فحسب بل لما يمتلكه من مــؤهلات ذاتية هيأتهُ لأَن يكون ذا صدارة في ٱلمجالات ٱلدينية وٱلسياســية وٱلأجتماعيــة وٱلعلمية وٱلسيد ٱلشيخ ينحدر من أُسرة حسينية هاشمية هي فــرع مــن فــروع ٱلشجرة ٱلمحمدية ٱلمصطفوية ٱلطاهرة ٱلتي أصلها ثابت وفرعها في ٱلسماء .

فهو ٱلسيد ٱلشيخ محمد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم ابن ٱلسيد عبد ٱلقادر ابن ٱلسيد عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنــزان ابن ٱلسيد حسين ابن حسن ابن ٱلسيد عبد ٱلكريم ابن ٱلسيد إسماعيل الولياني ٱبن ٱلسيد محمد ٱلنودهي ابن ٱلسيد بابا علي ٱلوندرينــة ٱبن ٱلسيد بابا رسول ٱلكبير ٱبن ٱلسيد عبد ٱلسيد الثاني ابن ٱلسيد عبد ٱلرســول ابن ٱلسيد قلندر ابن ٱلسيد عبد ٱلسيد ابن ٱلسيد عيسى ٱلأحدب ابن ٱلسيد حســين ابن ٱلسيد بايزيد ابن ٱلسيد عبد ٱلكريم ٱلأول ابن ٱلسيد عيسى ٱلبرزنجــي ابــن

ٱلسيد بابا علي ٱلهمداني ابن ٱلسيد يوسف الهمداني ابن ٱلسيد محمد ٱلمنصور ابن ٱلسيد عبد العزيز ابن ٱلسيد عبد الله ابن ٱلسيد إسماعيل ٱلمحـدث ابـن الإمـام موسى ٱلكاظم ابن ٱلإمام جعفر الصادق ابن ٱلإمام محمد ٱلباقر ابن ٱلإمام علـي زين ٱلعابدين ابن ٱلإمام الحسين ابن ٱلإمام علي ابن أبي طالـب ﷺ وٱلسـيدة فاطمة ٱلزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام) بنتِ رسول ٱلله وخاتم ٱلأنبياء وٱلمرسلين سيدنا محمد ٱلمصطفى ﷺ .

وأما لقب ٱلكسنـزان الذي أُطلق على عائلة ٱلسيد ٱلشيخ ﷺ فهو لقب أُطلق على جدّهم ٱلولي ٱلصالح وٱلعابد ٱلزاهد ٱلسـيد عبـد ٱلكـريم ٱلأول وكلمـة (كسنـزان) كلمة كردية تعني ٱلشخص ٱلذي لا يعلم حقيقته أحد وسبب إطلاق هذا ٱللقب على هذا ٱلسيد ٱلمبارك هو ٱنقطاعه لمدة أربع سنوات عـن ٱلنـاس مختـلياً في أحد جـبال (قرداغ) [1] ، مع ربه متلذذاً بقربه مستأنساً بعبادتِـهِ وحينما كان يُسألُ أحدُ ٱلناس عن ٱلشيخ ، يقول : (كسنـزان) ، فجـرى هـذا ٱللَّفظ لقباً على هذا ٱلسيد ٱلمبجل ومن ثم على أبنائه وأحفاده كما أَنَّ هذا ٱللقـب جرى على أَلسنة ٱلخلق عَلَماً للطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـزانية ٱلتـي تبنّـى مشيختها ٱلشيخ وأبناؤه وأحفاده من بعده .

فاسم ٱلكسنـزان هو لقب عائلة وٱسم طريقة وله معناه ٱلاصطلاحي .

وأَما ٱسم العشيرة ٱلتي تنتمي إليها عائلة ٱلشيخ محمد فهي عشـيرة ٱلسـادة البرزنجية وٱلأب ٱلأعلى لهذه ٱلعشيرة ٱلشيخ عيسى البرزنجي وهـو أول مـن

---

١ – قرداغ : وتعني الجبل الأسود ، وهي منطقة تقع في ضواحي مدينة السليمانية.

سكن في برزنجة من شمال ٱلعراق وبارك ٱلله في ذريته عدداً ومكانة ووجاهــة دنيوية وأُخروية فالسادة ٱلبرزنجية ٱليوم هم أكبر عشائر ٱلســادة ٱلكــرام فــي شمال ٱلعراق .

ولادته ونشأته :

ولد ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنــزان ٱلحسيني ﷺ في (قرية كربجنة) ٱلتابعة لناحية (سنكاو) من محافظة كركوك في شمال ٱلعراق فجر ٱلجمعة ٱلرابع عشــر من شهر صفر (سنة ١٣٥٨) للهجرة ٱلنبوية ٱلشريفة ٱلموافق للخامس عشــر من شهر نيسان (١٩٣٨ م) للميلاد وهذه ٱلقرية ٱلتي ولد فيها الشيخ هي موطن مشايخ ٱلطريقة ٱلكسنــزانية ، ومنذُ سنواته الأولى التي قضاها في (كربجنــة) كان شيخ ٱلطريقة هو والده ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنــزان ﷺ ٱلذي أُنيطت به ٱلمشيخة من قِبَلِ أَخيه الأكبر ٱلشيخ ٱلزاهد صاحب ٱلخلوات ٱلســيد ٱلشــيخ حسين ٱلكسنــزان وٱلذي كان يُطلق عليه ولا زال لقب (ٱلسلطان) وٱلســلطان حسين هو الذي سمّى ٱلمولود ٱلجديد للشيخ عبد ٱلكريم محمداً ، وقال فيه مبشراً أَنه سيكون ولي زمانه وسيكون في ٱلطريقة ذا سلطان وجاه روحي واسع .

نشأ ٱلشيخ في هذه ٱلأجواء ٱلروحانية وفي هذا ٱلصفاء وبين أكْناف أوليــاء كبار لا تراهم إلّا ركعّاً أو سجّداً أو مسبحين أو مفكرين ومتدبرين مع ما كان لهم من مواقف وطنية مؤثرة في كل ٱلمجالات فالسلطان حســين كــان مــن قــادة ٱلجيوش ٱلتي تألفت من شيوخ ٱلعشائر وٱلوجهاء بقيادة ٱلسيد ٱلكريم وٱلمجاهــد ٱلذي ذاع صيته في ٱلآفاق (ٱلشيخ محمود ٱلحفيد) الذي قاوم ٱلإنجليــز إِبــان

ٱحتلال ٱلعراق فقد قاد ٱلسلطان حسين ﵁ معركة كربجنة ضد ٱلإنجليز وٱلتي انبثقت عنها فيما بعد معركة (دربند بازيان) [1] ٱلتي هزم فيها ٱلإنجليز وأُسر فيها قائد ٱلجيش هناك (ٱلكابتن مار) ، وقد أَبلى ٱلسلطان حسين ﵁ في هذه ٱلمعارك بلاء ٱلأَبطال ٱلذين يشار اليهم بالبنان في ٱلتاريخ ولم يكن ذلك وليد حينه فأن ٱلسلطان حسين هو ٱلنجل ٱلأكبر للشيخ عبد ٱلقادر ٱلكسنزان ﵁ ٱلعابد ٱلزاهد وٱلبطل ٱلمجاهد ٱلذي قاد ٱلمعارك ضد ٱلروس على ٱلحدود ٱلإيرانية في منطقة بانا وشارك أيضاً في (معركة ميدان) [2] مع رؤساء ٱلعشائر ٱلكردية وٱلسادة ٱلبرزنجية .

أما والد ٱلشيخ فهو ٱلشيخ عبد ٱلكريم ﵁ الذي تولّى مشيخة ٱلطريقة فكان من كبار ٱلشخصيات ٱلدينية وٱلأجتماعية وعلى يديه كَثُرَ عدد ٱلمريدين وتوَّسعت ٱلآفاق في ٱلإرشاد وٱلتربية وٱلسلوك .

في هذه ٱلأجواء ٱلمفعمة بالروحانيات وٱلأخلاقيات وٱلمثاليات نشأ شيخنا وشرب من هذا ٱلنبع ٱلطاهر مشرباً طيباً هنيئاً مريئاً إذ تربّى على ٱلفضيلة بكلّ ما تحويه هذِهِ ٱلكلمة من معنى .

---

١ – دربند بازيان : وهي منطقة جبلية ذات غابات كثيفة وتقع بين محافظة السليمانة ومحافظة كركوك .

٢ – معركة ميدان : نسبة إلى منطقة (ميدان) التي تقع شمال شرق العراق قرب الحدود العراقية الإيرانية .

دراسته :

أَخذ ٱلشيخ محمد ٱلكسنــزان ﷻ ٱلطريقة عن والــده وأَخــذ معهــا علــوم ٱلتصوف بموسوعية كبيرة وكان ذا ملكة فكرية وروحية تمتــاز بســعة ٱلأفــق وقد تهذّبت وتكاملت هذه ٱلملكة في دراسته وتعلّمه إذ أَخــذ ٱلعلــوم ٱلشــرعية وٱلعربية على يد كبار علماء عصره وفقهاء مصره في مدرسة جــدّه مدرســة (كربجنة) ٱلدينية فدرس ٱلعلوم ٱلعربية وٱلإسلامية على كبار علمائهــا مــنهم ٱلملا كاكا حمه سيف ٱلدين وٱلملا علي مصطفى ٱلملقب بعلي ليلان وٱلملا عبد الله عزيز ٱلكربجني .

ثم أن ٱلشيخ ﷻ لم يكتَفِ بذلك وإنما طوّر هــذا ٱلخــزين ٱلعلمــي بكثــرة ٱلمطالعة ٱلتي تعتبر همه ٱلأول . وللشيخ مكتبة علمية نادرة حوت آلاف ٱلكتــب وٱلمخطوطات ٱلتي جمعها بمشــقة كبيــرة فقــد واظــبَ علــى مراجعــة دار ٱلمخطوطات ومكتبة ٱلأوقاف ٱلعامة ومكتبة ٱلحضرة ٱلقادرية ٱلشــريفة ســبعة عشر عاما بصورة مستمرة يدخل ٱلمكتبة في بداية ٱلدوام ٱلرســمي ولا يخــرج منها إِلّا في نهايته . إذن فعلمه ٱلصوفي وملكاته ٱلروحية بالإضافة إلــى كونهــا فيضا ربانيا ، فإن ٱلشيخ محمــد ٱلكسنــــزان تعهــدها بكثــرة ٱلمجاهــدات وٱلرياضات لسنين طويلة ، وأمّا علوم ٱلتصوّف ٱلنقلية فقد تعهدها بالــدرس وٱلبحث ، وأكبر شاهد على ذلك هو ما تضمنه انجــازه الكبيــر (موســوعة الكسنــزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان) ٱلتي تُعَدّ فريدة فــي بابها .

جلوسه على سجادة ٱلمشيخة :

إن ٱلجلوس على سجادة ٱلمشيخة في نظر أهل ٱلطريقة ، هو ٱختيار وتعيين علوي يجري بأمر ٱلله وأمر رسوله سيدنا محمد ﷺ ومن يتم ٱختيـــاره لهـــذه ٱلمهمة ٱلمقدّسة يكون دائماً موضع نظرِ ٱلله ورعايته ، فيفيض عليه ما يفـــيض من أنوار ويُمِدُّهُ بما يشاء من مدد ليكون أهلاً للوراثة ٱلمحمّدية وٱلقيام بمهامهـــا من هداية ٱلناس إلى طريق ٱلحق وٱلإيمان وٱلدعوة إلى ٱلله بالحكمة وٱلموعظة ٱلحسنة وبث ٱلخير وٱلنور وٱلسلام بين ٱلخلق وٱلقيام بمهام ٱلأمـــر بـــالمعروف وٱلنهي عن ٱلمنكر ومهام ٱلتربية ٱلروحية للأتباع وٱلمريدين .

وهكذا كان الأمر بالنسبة للشيخ ﵁ ، ففي آخر زيارة قام بها حضرة ٱلســـيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنـــزان ﵁ لأضرحة ٱلمشايخ ٱلكرام في قرية (كربجنـــة) كان ٱلسيد ٱلشيخ محمد ﵁ بصحبته وكان في تلك ٱلزيارة عدد كبير من ٱلخلفـــاء وٱلدراويش وٱلمحاسيب وٱلأتباع .

وبعد أن انتهى حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكريم من مراسيم ٱلزيارة ، جلس وكانت علامات ٱلسرور تعلو وجهه ٱلكريم وقال : (يا أولادي ٱلدراويش منـــذ ٱليـــوم يكون ٱلسيد ٱلشيخ محمد شيخكم ، وهذا أمر أساتذتنا ، ومَن أطاعه فقد أطاعنا ، ومَن أحبه أحبنا ، ومَن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا) ثم نظر ملتفتاً إلـــى أضرحة ٱلمشايخ قائلاً : (أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخر زيارة لكم ، وهـــذا وكيلكم ٱلذي أوكلتموه – مشيراً إلى نجله ٱلشيخ محمد) .

كان هذا ٱلحدث إيذاناً بانتقــال مشــيخة ٱلطريقــة مــن حضــرة ٱلشــيخ عبد ٱلكريم ﵁ إلى حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ، وتحقــق مــا أخبــر به ٱلشيخ من أنها كانت آخر زيارة لآبائه وأجداده ، فقد ٱنتقــل إلـــى ٱلرفيــق ٱلأعلى في عام (١٣٩٨ هــ) ٱلموافق للعام (١٩٧٨م) بعــد زيارتـــه ٱلأخيــرة بفترة وجيزة .

وقد أرَّخ وفاته ٱلشيخ محمّد عمر ٱلقره داغي (رحمه ٱلله) رئــيس علمــاء ٱلسليمانية في مَرْثيَّـــتِهِ بحقِّ ٱلشيخ عبد ٱلكريم ﵁ فقال :

وَفَــاتُــكُمْ كَــارِثَــةٌ عــبــدَ ٱلكريــمْ

تَأْرِيخُكُمْ (فـــي جنة ٱلخُلْــدِ مُقيــمْ)

١٩٠ ٦٦٥ ٤٥٣ ٩٠ [1]

وكانت وفاته ﵁ فاجعة لأحبابه وخلفائه ومريديه وٱلمسلمين جميعاً لما كـــان يمتلك من شخصيةٍ ٱستطاعت أن تمثّــل ٱلشخصية ٱلقيادية ببعـــديها ٱلروحـــي وٱلمادي ، وقد تسارع ٱلعلماءُ وٱلشعراءُ وٱلأدباءُ إلى رثائهِ وٱلثناءِ على مَنْ خَلَفَهُ وحلّ محلَّهُ نجلهِ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـــزان ﵁ .

ونقتطفُ أبياتاً من قصيدةٍ في رثاء ٱلشيخ عبــد ٱلكـــريم ﵁ قالهـــا ٱلشـــيخ ٱلعـــــلامة عبد ٱلمجيد ٱلقــطب (رحمه ٱلله) وهو علمٌ مــن أعـــلام علمـــاء ٱلعراق ورئيس علماء كركوك مادحاً خَلَفَهُ ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ﵁ :

---

١ – هذه الأعداد إشارة الى ما يقابل الحروف الأبجد هوز من أعداد ومجموع أرقام هذه الحروف هي ١٣٩٨ هـــ وهي تاريخ انتقال السيد الشيخ عبد الكريم الكسنـــزان لدار الآخرة .

غَابَ عَنْ أَنظارِ أربابِ ٱلوَفَــا   مُرْشِدٌ مِن أهلِ بيتِ ٱلمصطفى
سيِّــدٌ عنْ سيدٍ عـــنْ سيـــــدٍ   كُلُّهُمْ حَازُوا ٱلعُــلا وٱلشَـــــرَفَا
رَحَلَ ٱلشّيخُ وَقَـــدْ أورثـــــنا   لوعــةً في قلـــبنا وا أسَـــفَا
رَحَلَ ٱلشّيــخُ نَعَـــمْ لكـــنَّهُ   أسداً خَـلَّف ثُـــمَّ ٱنْصَـــرَفَا
ذَهَبَ ٱلشّيخُ وأبْقَــى بعـــــدهُ   ذهبــاً يَعْــرِفُهُ مَــنْ عَـــرَفَا
لَمْ يَمُتْ شيخٌ تَجَلَّى بعـــــــدهُ   مَنْ حَذَا حَــذْوَ أَبيهِ وَٱقْتَـــفَى

وهكذا قام ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ﷜ مقام والده ٱلشيخ عبد ٱلكريم ﷜ بعد ٱنتقاله إلى جوار ربه ، وتولّى أمور ٱلطريقـــة وٱلإرشـــاد ، وبايعـــه ٱلخلفـــاء وٱلدراويش أُستاذاً وأباً روحــياً سنة (١٣٩٨هـــ) ٱلموافـــق (١٩٧٨م) .

وذاع صيت ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ﷜ وٱتسعت شـــهرته منـــذ ٱلبـــواكير ٱلأولى لمشيخته فأقبل ٱلناس عليه بمختلـــف فئـــاتهم ، وكـــان لصـــدق ٱلشـــيخ وإخلاصه مع ما ٱمتاز به من شخصيةٍ آسرةٍ جذّابةٍ وصبرٍ في ٱلدعوةِ إلـــى ٱلله سبباً في ٱنجذاب أعدادٍ كبيرةٍ من طلاب ٱلعلوم ٱلدينية وغيـــرهم مـــن ٱلأطبـــاء وٱلمهندسين وٱلمتخصصين في شتّى أنواع ٱلعلوم إليه .

وٱنتشرت ٱلطريقة ٱلكسنـــزانية في جميع أنحاء ٱلعراق فلا تكاد تجد مدينـــةً أو قريةً إلّا وللشيخ محمد ٱلكسنـــزان تكيةٌ يقصدها ٱلمريدون وٱلأتباع بل جـــاوز ذلك ٱلبلدان ٱلأخرى كإيران وتركيا وٱلجمهوريات ٱلقوقازية وٱلهنـــد وباكســـتان وٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وبعض دول أوربا ممّا يدلّ على باع ٱلشيخ ٱلطويل في ٱلمعرفة وٱلتربية وٱلإرشاد .

وللشيخ محمد ٱلكسنـــزان ﷳ كرامـات كثيـرة وكشـوفات واضـحة ، ولكنّه كان ولا يزال يُعرِض عن ذكرها ولا يسمح لأحـد بالتحـدثِ عنهـا ، ويحذّر ٱلمريدين من ٱلركون إلى ٱلكشف وٱلكرامـة ، ويقـرِّر أنَّ ٱلتصـوف خصلتان هما ٱلاسـتقامة وٱلسـكون وأن أعظـم ٱلكرامـات ٱلاسـتقامة علـى شرع ٱلله .

خلـواته :

كان حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ﷳ قد دخل عدة خلـوات فـي عهـد والده ، وكذلك دخل خلوتين بعد توليه أمور ٱلطريقة وٱلمشيخة كانت الأولى في ٱلعشرين من شعبان سنة ١٣٩٨ هـ ٱلموافق ١٩٧٨ م ، وقد صحبه عدد مـن ٱلدراويش وٱلخلفاء حيث جلس كل منهم في خلوتـه بعـد أن تعلمـوا نظـام ٱلخلوة وأورادها وآدابها من أستاذهم إثر محاضرة ألقاها ٱلشيخ قبـل ٱلـدخول إلى ٱلخلوة بنيَّـة خالصة .

ودخل ٱلخلوة ٱلثانيـة سـنة ١٣٩٩ هـ ٱلموافـق ١٩٧٩ م ، وصَـحِبَه ضعف عدد ٱلدراويش الذين دخلـوا معـه ٱلخلـوة ٱلأولـى وطبّـق علـيهم نظام ٱلخلوة كاملاً وخرج كلّ واحدٍ منهم بنصيبه منها .

إنجازاته ٱلعلمية وٱلصوفية :

في مجال ٱلبحث وٱلتأليف وٱلإصدارات ٱلصوفية ، له ٱلعديد من ٱلمؤلفات ، ٱلتي طبع منها :

١ – ٱلأنوار ٱلرحمانية في ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنــزانية .

٢ – نشر كتاب : جلاء ٱلخاطر من كلام ٱلشيخ عبد ٱلقادر .

٣ – ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنــزانية .

٤ – موسوعة ٱلكسنــزان فيما ٱصطلح عليه أهل ٱلتصوف وٱلعرفان مكونة من (٢٤ مجلداً) .

إنجازات علمية أُخرى :

إنَّ ٱلأسلوب ٱلحديث في ٱلتعليم يبدو أحيانًا نصوصًا مجردة من مضـــامينها ٱلأدبية ومدلولاتها ٱلخُلقية وإذا صار ٱلأمر كذلك يفقد ٱلعلم بذلك بهاءه وجمالـــه وأثره وٱتساعه وإذا فُصل بين ٱلعلم وٱلأدب فمهما كان ٱلمخزون ٱلعلمي وٱلثراء ٱلمعرفي فإنك واجد ضعفًا شديدًا في أثر ٱلعلم على ٱلأخلاق وٱلســلوك وتزكيــة ٱلنفوس وصلاح ٱلقلوب ، ولا خير في علم ٱمرئ لم يُكسبه أدبًا ويُهذِّبه خُلقًا .

من هنا كانت علاقة ٱلأندماج وٱلتقارب بين ٱلعلم وٱلتصـــوف تكـــاد تكـــون ٱلحقيقة ٱلثابتة في ذات ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ﷻ وجوهر طريقته ٱلصوفية ، فلا تكاد ترى أدنى فصل أو تباعد بين ٱلبحـــث ٱلعلمـــي وٱلتجربـــة ٱلصـــوفية عنده ، وكأنه يمسك بيديه ٱلكريمتين كفتي ٱلميزان على حد ٱلإعتدال فلا يـــرجِّح كفةً على أخرى .

ويبدو ذلك واضحاً بجلاء في كل ٱلإنجازات ٱلتي يقـدمها حضـرة ٱلشـيخ أو يسعى لتقديمها ، ومنها :

● تأسيسه (كلية ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ٱلجامعة) ، وٱلتـي تضـم إلـى جانب قسم علوم ٱلشريعة وٱلتصوف وحوار ٱلأديان ، أقسام أُخرى فـي علـوم ٱلإقتصاد وٱلسياسة وٱلقانون وٱللغة وعلوم ٱلحاسبات وٱلرياضـيات ٱلتطبيقيـة ، وهو بلا شك إنجاز يظهر مدى تفاعل ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ﷺ مع متطلبات ٱلعصر الذي يعيش فيه وتفاعله معه بالوسائل ٱلعصرية ٱلتي تناسبه .

وهذه ٱلكلية ٱلعلمية ٱلإنسانية هي بمثابة نواةٍ لجامعة كبرى يكون لها فـروع في جميع دول ٱلعالم ٱلمتحضّر كما يأمل ٱلشيخ ﷺ .

● إنجازه لتقويمٍ اسلاميّ رائدٍ ، نأمل أَن يُكتب له ٱلقبول وٱلأنتشار لما فيـه من اطروحة علمية دقيقة في ٱلحسابات مستندة إلى علم ٱلفلك .

هذا التقويم هو (ٱلتقويم ٱلمحمدي) ، وهو تقويم يؤرخ للأحداث نسبةً لولادة حضرة ٱلرسول ٱلأعظم ، وذلك كمظهر احتفـائي دائمـي بـذكرى ٱلظهـور ٱلمحمدي ٱلمجيد ، فيكون عمـلاً يقـدس ويعظـم ويبجـل حضـرة ٱلرسـول ٱلكريم ﷺ ، إضافةً إلى أنه يُقدّم فائدة كبيرة لدارسي ٱلتاريخ ٱلإسلامي ، لأنـه يُؤرّخ ٱلأحداث نسبةً إلى ٱلبداية ٱلحقيقية للتأريخ ٱلإسلاميّ ، فهو بمثابـة ٱلحـلّ ٱلمثالي للعديد من ٱلمشاكل وٱلعقبات في دراسة هذا ٱلتأريخ [1] ، وان هذا ٱلتقويم

---

١ - للإطلاع على منافع هذا التقويم في دراسة التاريخ الإسلامي بالإمكان الرجـوع إلى الدراسـة الخاصة بهذا الشأن .

ٱلمبارك لا يُلغي ٱلتقويم ٱلهجري بل هو ٱمتدادٌ لهُ .

● تأسيس (ٱلمجلس ٱلمركزي للطرق ٱلصوفية في ٱلعراق) في وقت بانت فيه بوادر تمزيق وحدة ٱلعراق ، وتشتيت كلمة ٱلمسلمين ، فجاء هـذا ٱلمجلس ليوحِّد كلمة ٱلصوفية في ٱلعراق ، لغرض ٱلنهوض بواجبهم تُجاه ربّهم وديـنهم ووطنهم على أكمل وجهٍ ، كما يهدف هذا ٱلمجلس إلى فتح قناةٍ للحوار وٱلتعارف مع بقية ٱلتجمعات وٱلمجالس وٱلطرق وأفراد ٱلصوفية في ٱلعالم لغرض ٱلقيام بنفس ٱلواجب تُجاه ٱلعالم ككل ، ولتوحيد ٱلكلمة ضد كلِّ مَن يحـاول ٱلمساس بحرمة مقدسات ٱلمسلمين بشكل عام وٱلصوفية بشكل خاص .

ويطمح ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان ﷶ إلى أن يجد هذا ٱلمجلس صـداه فـي قلوب وعقول ٱلصوفية في ٱلعالم ، ليجتمعوا على تكوين مجلس مركزي عـالمي للتصوف ٱلإسلامي يكون له فروع رئيسية في كـل دولـة مـن دول ٱلعـالم ، لينهضوا مجتمعين بمهامهم ٱلأساسية كدعاةٍ روحيِّين ، تُجاه ٱلمتغيرات ٱلعالميـة على أكمل وجهٍ وبالصورة ٱللائقة ٱلمشرّفة لحمل راية ٱلخير وٱلسلام وٱلمحبـة بين شعوب ٱلعالم أجمع .

● موقـع ٱلتصـوف ٱلإسـلامي (www.islamic-sufism.com) ، وهو نافذة عصرية يطلّ من خلالها توجه ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـزان علـى ٱلعالم بأسلوب صوفي معاصر غير مسـبوق ، لـيعكس ٱلجوانـب ٱلمشـرقة وٱلأنفتاحية للتصوف ٱلإسلامي على ٱلآخرين .

فقد تم في هذا ٱلموقع مراعاة ٱلأخذ بأحدث ٱلبرامج ٱلإلكـترونية ، وأحـدث

ٱلتصميمات ٱلجميلة ، مع بقاء عنصر ٱلأصـــالة حاضراً ، هذا من ٱلناحية ٱلفنية وأَمّا من ٱلناحية ٱلفكرية ، فقد أَخذ ٱلموقع طابع ٱلشمولية ولغة ٱلحوار ٱلمتمـــدن كخطوة أساسية في هذا ٱلعصر لردم ٱلهوة ، وتقريب ٱلمسافة مع ٱلآخر .

وقد فتح ٱلموقع أبوابه لجميع ٱلمشاركات وإبداء ٱلآراء وٱلتعارف بين جميـــع ٱلصوفية على ٱختلاف طرقهم وتنوع مشاربهم ، كما فتح أبوابه لجميع ٱلمفكّرين ٱلإسلاميِّين ٱلذين يهدفون إلى ٱلارتقاء بالفكر ٱلإسلامي إلى ٱلمستوى ٱلحضاري ٱلذي ينبغي له أَن يكون فيه ، بالنشر وٱلتعليق وتلاقح ٱلأفكار وٱلرُّؤى .

ومن ٱلمؤمَّل أَن يفتح ٱلموقع بابه أَمام ٱللغات ٱلرئيســـة فـــي ٱلعـــالم ، وأَن يستقبل ٱلبحوث وٱلدراسات وٱلمقالات ٱلتي تعمق وتوطد ٱلعلاقة ٱلفكرية وٱلثقافية وٱلعلمية بين ٱلمسلمين وغيرهم .

● موقع ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنـــزانيَّة (www.kasnazan.com) ، وهو موقع متخصِّـــص بـــنهج وأُسـلوب ومبـــادئ ٱلطريقـــة ٱلعليَّـــة ٱلقادريَّـــة ٱلكسنـــزانيَّة ، وهو بمثابة ٱللسان ٱلناطق عنها للعالم ، وٱلصورة ٱلمعبّـــرة عـــن جوهرها ومضمونها .

● تأسيس (ٱلمركز ٱلعـــالميّ للتّصـــوّف وٱلدِّراســـات ٱلرّوحيـــة) وهـــو مركز أَسَّسَهُ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـــزان في عـــام (١٤١٥ هــــ) ٱلموافـــق (١٩٩٤ م) ، ويتخصَّصُ هذا ٱلمركز في ٱلبحث في حـــالات ٱلشّـــفاء ٱلفـــوري ٱلخاصة بخوارق وكرامات ٱلطريقة ٱلتي تُثْبِتُ وجودَ ٱلذَّات ٱلإلهيـــة وٱلمقارنـــة بين هذهِ ٱلخوارق من جهةٍ وبين ٱلظواهر ٱلباراسايكولوجية من جهـــةٍ أُخـــرى

وإثبات فشل ٱلأخيرة أمام خوارق ٱلطريقة ، إضافة إلى دراســـات أُخـــرى يـــتم بحثها في هذا ٱلمركز على أيدي باحثين متخصصين .

● إصدار مجلة الكسنـــزان : وهي (مجلة فصلية صوفية ثقافيـــة علميـــة) تعنى بالأمور الصوفية ، وهي أول مجلة صوفية جامعة ذات نظـــرة تجديديـــة معاصرة .

المصادر

- **القرآن الكريم**
- **مصادر الحديث :**

١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا – دار الكتب العلمية – بيروت .

٢. تعظيم قدر الصلاة – محمد بن نصر بن الحجاج المروزي – تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي – مكتبة الدار – المدينة المنورة ١٤٠٦هـ – ط١ .

٣. الجامع الصحيح سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي – تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤. الجامع الصحيح المختصر – محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – تحقيق د. مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ – الطبعة الثالثة .

٥. سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت .

٦. سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي – تحقيق – محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر .

٧. سنن البيهقي الكبرى – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي – تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٨. سنن الدارقطني – أبو الحسن الدارقطني البغدادي – تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني – دار المعرفة – بيروت ، ١٣٨٦ – ١٩٦٦ .

٩. شعب الإيمان – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠هـ – ط ١ .

١٠. صحيح ابن حبان - محمد بن حبان - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٣- ط٢ .

١١. صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٢. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها – عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري – تحقيق عبدالغفور عبد الحق حسين البلوشي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢ – الطبعة : الثانية .

١٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦ – الطبعة الأولى .

١٤. المجتبى من السنن – أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي – تحقيق عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ١٩٨٦ – ط٢ .

١٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي – : القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧هـ .

١٦. المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله أبو عبـــد الله الحـــاكم النيسابوري – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

١٧. مسند أبي يعلى – أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي – تحقيق : حسين سليم أسد – دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤ – الطبعة الأولى .

١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشـــيباني – مؤسسة قرطبة – مصر .

١٩. مسند الشهاب – محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبـــد الله القضـــاعي – تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٢٠. المعجم الكبير – أبو القاسم الطبراني – تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – الموصل – ١٤٠٤ – ١٩٨٣ – ط٢ .

- **الكتب المطبوعة**

١ . إحياء علوم الدين – الإمام الغزالي – صحح بإشراف الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان – دار القلم – بيروت .

٢ . إحياء علوم الدين ـ الإمام الغزالي ـ طبعة مصطفى البابى الحلبـي ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ .

٣ . آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوّة – أبو البركات الغزنـــي – مـــن موقع رباط الفقراء .

٤ . الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية – الإمام محمد بن أحمد البوزيدي – تحقيق بسام محمد الورد – دار الفتح للنشر والتوزيع – عمان ٢٠٠١ .

٥ . آداب المريدين – ابو النجيب ضياء الدين السهروردي – تحقيق طـــه عبد الرؤوف سعد – المكتبة الازهرية للتراث ٢٠٠٢ م .

٦ . أسرار أركان الإسلام ـ الشعراني ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار التراث العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ، ١٩٨٠.

٧ . أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ـ الميهمي ـ تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل ـ مراجعة الدكتور يحيى الخشاب ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة .

٨ . الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر ـ عبد الكريم الجيلي ـ طبعة صبيح ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ .

٩. الأنوار الرحمانية في الطريقة العلية القادرية الكسنـــزانية – السيد الشيخ محمد الكسنـــزان – مكتبة مدبولي .

١٠. الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية بهامش الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار – الشيخ أبـــو المواهـــب الشـــعراني– ط١ – سنة ١٣٧٣ هـــ / ١٩٥٤ م – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

١١. إيقاظ الهمم في شرح الحكم – الشيخ أحمد بـــن عجيبـــة – المطبعـــة الجمالية – مصر – ١٩١٣ .

١٢. البداية والنهاية – ابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت – ط٢ – ١٩٧٧.

١٣. البرهان المؤيد – الشيخ أحمد الرفاعي – ضمن (المجموعة الصغرى للفوائد الكبرى) – مكتبة دار إحياء التراث العربي – بغداد – ١٩٨٤ .

١٤. تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس – الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – ١٩٤٨ .

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي .

١٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري– دار الكتب العلمية– بيروت .

١٧ . التحفة العراقية في الأعمال القلبية - ابن تيمية - المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٩٩ - ط٢ .

١٨. تربيتنا الروحية – سعيد حوى – دار الكتب العربية – بيروت – دمشق.

١٩. تفسير القرآن العظيم – ابن كثير– دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ .

٢٠. تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – دار الفكر – بيروت ١٤٠٥هـ .

٢١. تفسير روح البيان – الشيخ إسماعيل حقي البروسوي – المكتبة الإسلامية – ١٣٣٠ هـ .

٢٢. التعرف لمذهب أهل التصوف – الشيخ الكلاباذي – نشـــر وتصـــحيح آرثر جور آربري – طبعة القاهرة – ١٩٣٣م .

٢٣. التنوير في إسقاط التدبير ـ ابن عطاء الله السكندري ـ تحقيق ، موسى محمد على ، عبد العال العربي ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ١٩٧٣ .

٢٤. جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبـد القــادر – الســيد الشــيخ محمــد الكسنــزان – شركة عشتار للطباعة والنشر – بغداد ١٩٨٩ م .

٢٥ . حقائق الإسلام وأسراره ـ عبد الغني النابلسي ـ تحقيق عبد القادر عطا دار التراث العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .

٢٦. حقائق عن التصوف – عبد القــادر عيســى – مطبعــة النــواعير – ط ٥– ١٩٩٢ .

٢٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم الأصبهاني – دار الكتــاب العربي – بيروت – ط ٤ – ١٤٠٥هـ .

٢٨. الخشوع في الصلاة ـ ابن رجب ـ المكتبة القيمة ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ، ١٩٨٣

٢٩. الرسالة القشيرية في علم التصوف – الإمام القشــيري – دار التربيــة للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد .

٣٠. رسالة لا يعول عليه – الشيخ ابن عربي – جمعية دائــرة المعــارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – ط١–١٩٤٨.

٣١. سر العالمين وكشف ما في الدارين – الإمام الغزالي – مكتبـة الثقـة الدينية في النجف الأشرف – ط ٢ – ١٩٦٥ م.

٣٢. شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام– تقي الدين السبكي – بيروت .

٣٣. الشفا في التعريف بحقوق المصطفى– القاضي عياض .

٣٤. الصلاة ومقاصدها – الحكيم الترمذي – تقديم الـدكتور عبـد الحلـيم محمود – تحقيق حسن نصر زيدان – دار الكتاب العربي – مصر – ١٩٦٥.

٣٥. طبقات الصوفية – الإمام أبو عبد الرحمن السلمي – تحقيق نور الـدين شريبة (من علماء الأزهر) – الناشر مكتبة الخانجي (القاهرة) ومكتبة الهلال (بيروت) – ١٩٦٩– ط ٢ .

٣٦. الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية – السيد الشيخ محمد الكسنـزان – عمان – ط ٢ .

٣٧. الفتوحات المكية – الشيخ ابن عربي – دار صادر – بيروت .

٣٨. الفروع من الكافي – الكليني .

٣٩. الفيوضات الربانية – السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني – ترجمة وتحقيق السيد نور الدين باسم البريفكاني – مطابع دار المؤمن الثقافية العامة .

٤٠. علي إمام المتقين – عبد الرحمن الشرقاوي – الناشر مكتبة غريب .

٤١. عوارف المعارف – الشيخ عمر السهروردي (ملحق بكتاب إحيـاء علوم الدين للغزالي ج٥) – دار المعرفة – بيروت ، لبنان.

٤٢. عوارف المعارف ـ السهروردي البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

٤٣. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – محمد السفاريني .

٤٤. الغنية لطالبي طريق الحق ـ الشيخ عبد القادر الكيلاني ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .

٤٥. الفتوحات المكية ـ ابن عربي ـ دار صادر بيروت ـ

٤٦. فهم الصلاة ـ المحاسبي ـ تحقيق محمد عثمان الخشت ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة ١٩٨٣ .

٤٧. قضايا وشخصيات صوفية- الدكتور أحمد محمود الجزار ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية

٤٨. قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر – السيد محمد أبي الهدى الرفاعي الصيادي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٠ .

٤٩. كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان – الشيخ عبد الوهاب الشعراني – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر .

٥٠. كشف المحجوب ـ الهجويرى ـ تحقيق د. إسعاد قنديل ـ مراجعة د. يحيى الخشاب ـالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٧٥ـ الطبعة ١ .

٥١. لسان العرب المحيط ابن منظور– يوسف خياط – تقديم عبد الله العلايلي – دار لسان العرب – بيروت .

٥٢- لطائف الإشارات - القشيري - تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨١ .

٥٣. اللمع في التصوف – الشيخ السراج الطوسي– اعتنى بنسخه وتصحيحه رنولد الن نيكلسون – مطبعة بريل في مدينة ليدن – ١٩١٤.

٥٤. اللمع في التصوف - الشيخ السراج الطوسي - تحقيق طه عبد الباقي سرور ، الدكتور عبد الحليم محمود - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٦٠ .

٥٥. المحرر في الحديث في بيان الأحكام الشرعية - ابن قدامة الحنبلي مكتبة السلام العالمية - القاهرة .

٥٦. المختصر في شرح أركان الإسلام – جمع وإعداد بعض طلبة العلم – وكالة المطبوعات والبحث العلمي – السعودية١٤٢٦ هـ .

٥٧. مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة – إبراهيم حلمي القادري – سلسلة من الكتب القيمة – الناشر : عادل محمد البهي ، عبد السلام محمد سعيد – الإسكندرية – ١٩٦٢ .

٥٨. مدخل إلى التصوف الاسلامي - الدكتور أبو الوفا التفتازاني - دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦ .

٥٩. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار – الشيخ ابو الفضل علي الطبرسي – قدم له الأستاذ الكبير صالح الجعفري – ط ٢ – سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م – منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف .

٦٠. معجم ألفاظ الصوفية – الدكتور حسن الشرقاوي – مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ١٩٨٧ .

٦١. المعجم العربي الأساسي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون – لاروس ١٩٨٩ م .

٦٢. المنجد في اللغة والأعلام – دار المشرق – بيروت – ١٩٨٦م – ط٢٩.

٦٣. المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية – ابن علوية – تحقيق سعود القواص – دار ابن زيدون – بيروت – الطبعة الاولى ١٩٨٦.

٦٤. نصوص صوفية غير منشورة ، لشقيق البلخي – ابن عطاء الادمي – النفري – د. بولس نويا – معهد الآداب الشرقية – دار المشرق – بيروت – ١٩٧٣.

٦٥. نهج البلاغة – صبحي الصالح : ط ١ – بيروت – سنة ١٩٦٧ م .

٦٦ . الوصايا - المحاسبي - تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٦ .

٦٧. وفا الوفا بأخبار المصطفى – الإمام السمهودي .

● المخطوطات

١. آداب المريدين – الشيخ تاج الدين بن زكريا العثماني – مخطوط مكتبة الأوقاف العامة – بغداد – برقم (١٣٧٢٣) .

٢. أسرار الوضوء - ابن عربي - مخطوط رقم ٣٢٠ - مجاميع تصوف .

٣. الأنوار في التصوف - الشيخ عبد الوهاب الشعراني - دار الكتب المصرية برقم ٣٣٤٣٨ .

٤. الترياق الفاروق في وظيفة الشيخ الزروق (شرح وظيفة أحمد الزروق)– الشيخ احمد بن قاسم البوني – المتحف البريطاني ، لندن . رقم ١٨

٥. الرسالة المكية في الطريقة السنية –الشيخ قطب الدين الدمشقي – دار المخطوطات العراقية – مخطوطة برقم (٤٢٣٧٦) .

٦. مخطوطة دار المخطوطات العراقية – الشيخ محمد بن وفا الشاذلي – رقم (١١٣٥٣) .

الفهارس

إصدارات

الطريقة العلية القادرية الكسنـزانية

الطريقة
العلية القادرية الكسنزانية

السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
القياس : ١٧ × ٢٤
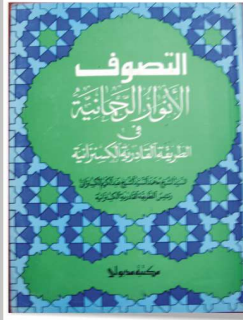
الانوار الرحمانية
في الطريقة القادرية الكسنزانية

السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
القياس : ١٧ × ٢٤

مصطلح الطريقة
في الشريعة الاسلامية
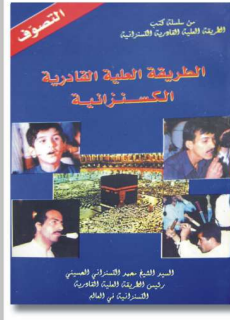
السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
التاريخ : ٢٠٠٦
القياس : ١٥ × ٢١
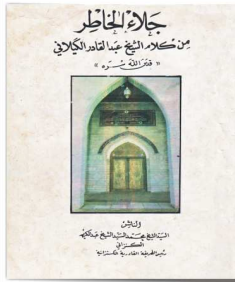
جلاء الخاطر
من كلام الشيخ عبد القادر
قدس الله سره

السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
القياس : ١٧ × ٢٤
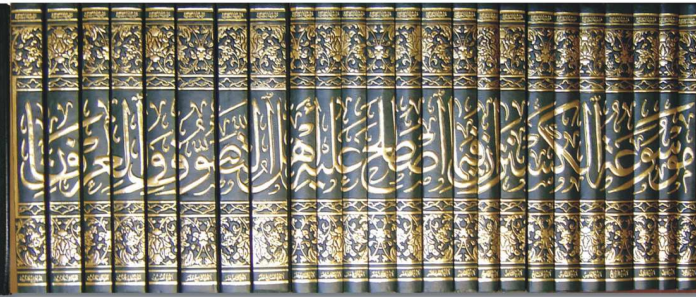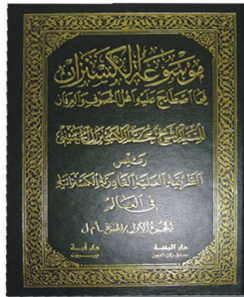
موسوعة الكسنزان
فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان

السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
التاريخ : ٢٠٠٥
القياس : ١٧ × ٢٤
الاجزاء : ٢٤ مجلد

خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث

الاستاذ الدكتور الشيخ
نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
الوكيل العام لرئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
التاريخ : ٢٠٠٧
القياس : ١٧ × ٢٤

الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي

الاستاذ الدكتور الشيخ
نهرو الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
الوكيل العام لرئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
التاريخ : ٢٠٠٧
القياس : ١٧ × ٢٤

الأوراد الكسنزانية

السيد الشيخ
محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الطبعة : الأولى
التاريخ : ٢٠٠٧
القياس : ٨ × ١٢
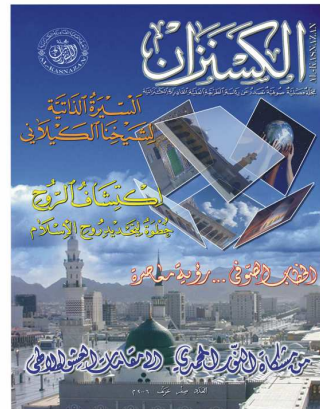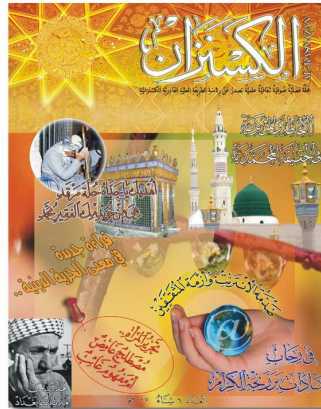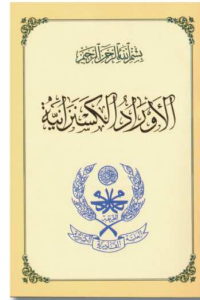
مجلَّةٌ فصليَّةٌ صُوفيَّةٌ ثــقافيَّةٌ علميَّةٌ

تصدرُ عَنْ رِئاسَةِ الطرِيقَةِ العليَّةِ القادِريَّةِ الكَسْنزانيَّةِ